الجمهـــورية الجزائـــريـــة الديمـــقراطيـــة الشـــعبيـــة

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليـــــم العـــــالي والـــبـــحـــث العـــلـــمـــي

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

جامعـــة وهـــران 1- أحمـــد بـــن بلـــة

Université d’Oran 1- Ahmed Ben Bella

مـعـــهد الترجمـــــة

Institut de Traduction

البعد التداولي للقصديّة في ترجمة النص الأدبي

- رواية خرفان المولى لياسمينة خضرا نموذجا -

مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في الترجمة

إعداد الطالبة:

بلعكـــرمي مريم

إشراف:

أ. د. بلحيا الطاهر

أعضاء لجنة المناقشة:

- أ. د. فرقاني جازية	جامعة وهران 1	رئيســــــا
- أ. د. بلحيا الطاهـر	جامعة وهران 1	مشرفا ومقررا
- أ. د. عباد أحمـــد	جامعة وهران 1	عضوا مناقشا
- د. شيخ حليمـــة	جامعة وهران 1	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2016/ 2017

" الفَقير يستَعطي إذا لم يكن له من كدّ يمينه ما يسدّ به عوزه، والعطشان إذا جفّ ماء بئره يلجأ إلى بئر جاره ليروي ظمأه. ونحن فقراء وإن كنّا نتبجّح بالغنى والوفرة، فلماذا لا نسدّ حاجاتنا من وفرة سوانا وذاك مباح لنا؟ وآبارنا لا تروينا، فلماذا لا نرتوي من مناهل جيراننا، وهي ليست محرمّة علينا؟؟ .... فلنترجم !"

ميخائيل نعيمـــــة، الغربال، مؤسسة نوفل، بيروت، ط. 15، 1991، ص. 126.

إهـــــــداء

إلى من رافقاني في مسيرة الحياة بفيء دعواتهما

وكانا لي النبراس والسند ...

والديّ الكريمين.

شكر وتقدير

حمدًا لله الذي زادنا فضلا كلما زدنا تقصيرا
نحمده تعالى ونشكرُه عزّ وجلّ حمدا يليق بجلاله.

وإنْ كان لهذه الرّسالة فضلُ الإنجازِ فأتوجه
بجزيل الشّكرِ والاعترافِ بالجميلِ إلى كل من كان
لي في درب العلم معلّما أو ناصحا، وأخص بالذكر
أُسْتاذِي المُشْرِف الّذي لم يبخل عليّ بنصائحِه وتوجيهاته.

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير
إلى جميع الأساتذةِ الأفاضل في معهد الترجمة
على ما يبذلونه من جهد في سبيل العلم.

مقــــدّمة

سعى الإنسان منذ الأزل إلى تحقيق التواصل مع بني جنسه للتعبير عن مقاصده محاولا تجسيد المعاني الكامنة في نفسه، في شكل صور مختلفة لإنجاح عملية الفهم والإفهام مما اضطره إلى خلق لغة خاصة به يتواصل بها مع غيره؛ تفرعت عنها لغات أخرى تفرقت في شعاب الأرض واكتست كل لغة ثقافة خاصة بها. وفي مرحلة التوسع والتعدد الثقافي وفي إطار سعيه إلى مزج الثقافات وبناء علاقات جديدة مع الآخر؛ اضطر الإنسان إلى بناء جسور توصله بالآخر تتيح التناقل والتواصل والتفاعل بين مختلف الحضارات والشعوب من بينها الترجمة التي يحصل بها تلاقٍ واعٍ بينها؛ فكانت – الترجمة- الجسر الواصل بين تلك الثقافات لتكون ائتلافا بين طرفين فأكثر وقهرا للوحدة.

تعددت مجالات الترجمة وتوحدت في الهدف المتمثل في تعميق أواصر التواصل الفكري والثقافي بين الأمم، وتعد الترجمة الأدبية من بين أهم المجالات التي لها دور حيوي وريادي في ذلك؛ كون الأدب يعد أهم أدوات تصوير التجارب الإنسانية باختلافها وهو الوعاء الحافظ والناقل لها، والترجمة هي القناة التي تنقله من عزلته ليرى النور ويتلاقح مع الآداب الأخرى. وقد امتزجت بمختلف العلوم ونهلت منها القدر الكافي الذي منحها شرعية استقلالها كعلم قائم بذاته وحقل من حقول المعرفة لا يقل شأنا عن باقي العلوم فضلا عن أنها ليست مجرد نقل المعارف والمعاني من لغة إلى أخرى، بل هي فن ومهارة لا يكتسبها أيّا كان إلا بالخبرة والرصيد اللغوي والفكري الذي يملكه.

كانت الترجمة لقرون سحيقة موضوع ذاك الجدل العقيم، الذي لا يزال قائما حتى اليوم إلى حد ما؛ المتمثل في التأرجح بين وجوب الترجمة الحرفية أو الترجمة بالمعنى، وتعدّ الترجمة الصحيحة نوعا من المصالحة بين جوهر النص وأسلوبه، وبين كمال المعنى وجمال المبنى. وتربط الترجمة واللسانيات التي تدرس اللغة دراسة علمية؛ علاقة وطيدة شكلت الدعم والسند القوي لها؛ كونها –اللسانيات- مهدت لها السبل التي ساعدت على إرساء ووضع أسس وضوابط للعملية الترجمية، وجدير بالذكر أنّ أي تطور في النظرية

اللسانية هو تطور في نظرية الترجمة؛ لأن اللغة أداة الكاتب والمترجم في إيصال الأفكار والمعارف والتجارب المختلفة.

ومع التطور العلمي المطّرد واتساع دائرة التواصل البشري الذي أثر في استعمال اللغة؛ تطورت اللسانيات لتدرس اللغة أثناء الاستعمال مستندة على السياق ومركزة على أطراف التخاطب من أجل الوصول إلى الكُنْه المقصدي؛ وذلك لتسهيل عملية التلقي وإنجاح العملية التواصلية، فظهرت اللسانيات التداولية التي أثْرت الدرس اللغوي من جهة والمجال الترجمي من جهة أخرى؛ حيث أقحمت جانب الكلام في حقل الدراسة وتجاوزت حدود الخطاب لتنظر إلى اللّغة على أنها نشاط إنساني، وتركز أساسا على دراسة مقاصد الخطاب.

وبعد اطلاعي على التداولية باعتبارها علما لغويّا تواصليا يثير الشغف للتعمق فيه واستكناه معالمه والتبحر في أغواره؛ حسمت اختيار عنوان بحثي الموسوم بـ: "البعد التداولي للقصدية في ترجمة النص الأدبي – رواية خرفان المولى لياسمينة خضرا نموذجا–" ولم يكن اختياري للمدونة صدفة ولا اعتباطا إنما إرضاء لفضولي أولا فلطالما أثار الكاتب ياسمينة خضرة فضولي، وتساءلت كيف يمكن لـ "عسكري" جزائري أن يمتلك أنامل من ذهب؟! فقد نجح من خلالها في تصوير الواقع التسعيني في الجزائر الذي عُدّ منعطفا شديد الحساسية في حياتن الجزائريين، والذي ترك بصمة قاهرة لا تزال آثارها النفسية والاجتماعية إلى يومنا هذا. كما لفت انتباهي أن الترجمة من الفرنسية إلى العربية لم يقم بها مترجم هاوٍ بل قام بها كاتب ومترجم متمرس له باعٌ في الأدب قبل أن يمارس الترجمة لذا بدا لي أن ترجمته جديرة بالدراسة عن سواها.

ما لفت انتباهي إلى موضوع التداولية والترجمة مقال للدكتور حبيب مونسي موسوم بـ"اللسانيات التداولية والترجمة: مقاربة لإشكالية المعنى في الترجمة من وجهة تداولية"

فبدا من المنطقي تجاوز اعتماد الدراسة التقليدية للغة التي قامت بفصل الجانب الحيوي للسان عن اللغة كنظام؛ وذلك بمنأى عن مستخدميها والسياق الوارد فيه الخطاب التي تعدّ عتبات الوصول إلى المقاصد؛ الأمر الذي عُنِي به الدرس التداولي، وبذلك طرحت الإشكالية الآتية: إلى أي مدى استطاعت الترجمة أن تنقل مقاصد النصوص الأدبية كما هي من لغة إلى أخرى في ظل المقاربة التداولية؟ وهل نجح مترجم رواية حملان المولى في الحفاظ على مقاصد النص الأصلي أثناء الترجمة؟ وكيف يمكن لمبادئ الدرس التداولي أن تساعد في رصد المقاصد الكامنة في النصوص الأدبية؟

ولقد كان الجزء النظري وصفيا اشتمل على نظريات الترجمة اللسانية إضافة إلى المفاهيم التداولية وآليات التحليل التداولي، كما اقتضت طبيعة البحث أن أتبع المنهج التحليلي؛ فتمثل في الجانب التطبيقي الذي حاولت فيه تحليل بعض المحطات للبعد التداولي للقصدية في ترجمة محمد ساري لرواية حملان المولى، وموازنتها بالأصل باتباعي منهجا آخر هو المنهج التقابلي؛ إذ كان لزاما عليّ أن أنتهجه بهدف المقابلة والموازنة بين اللغة الأصل واللغة الهدف المستعملتين في هذا النص الأدبي، وتحديد مدى تأثر القصدية أثناء العملية الترجمية.

ولإنجاز هذا البحث وبلوغ ما أردت توخيه في هذه الدراسة قسمت بحثي إلى ثلاث فصول؛ فأما الفصل الأول من الجانب النظري الذي عنونته بـ "الترجمة واللسانيات التداولية" سأحاول أن أوضح من خلاله العلاقة بين اللسانيات التداولية والترجمة فتضمن في جزئه الأول عرضا مقتضبا لبعض من أهم النظريات اللسانية للترجمة الأدبية بدءا من مرحلة ما قبل ظهور اللسانيات إلى مرحلة الثورة اللسانية؛ المنعطف الفكري واللغوي الذي أثر في جميع المجالات من ضمنها الترجمة وسأتطرق إلى آخر محطات التطور اللساني في الجزء الثاني من هذا الفصل المتمثل في التداولية حيث سأقف على مجالها المفاهيمي؛ المفهومه والنشأة وأهم القضايا التي تستند عليها في رصد المقاصد بداية

من الإشاريات والافتراضات المسبقة والاستلزام وصولا إلى نظرية أفعال الكلام وفي الجزء الأخير سأقدم توضيحا يخص البعد التداولي للترجمة.

وسأخصص الحديث في الفصل الثاني عن القصدية؛ جوهر البحث، ففي الجزء الأول منه سأوضح الفرق بين المعنى والقصدية بعد التطرق إلى مفهومها وأنواعها، لألج بعد ذلك إلى البعد القصدي للنص الأدبي المترجم والكفاءات التي تساعد على تجلي القصدية أما في الجزء الثاني من هذا الفصل سأتطرق إلى مبادئ التحليل التداولي للمقاصد في إطار العملية الترجمية للنص الأدبي؛ وفي معرض الحديث كان لا بد من تخصيص جزء لمسألة السياق كونه أهم مفاتيح التحليل التداولي في تحديد المقاصد في العملية الترجمية، لأمرّ بعده لترجمة المضمرات المتمثلة في الافتراض والاستلزام والأفعال الكلامية؛ العناصر التداولية التي يقوم عليها مفهوم القصدية.

أما الفصل الثالث من البحث سيكون تطبيقيا؛ الذي سأحاول فيه تطبيق مبادئ التداولية على نماذج منتقاه من النص الأصلي ومقابلها في اللغة الهدف، لرصد تغيرات القصدية بين الأصل والهدف وتوضيح مقاصد تلك النماذج بالاعتماد على ركائز التداولية في تقصي المقاصد، كمحاولة للكشف عن إمكانية الحفاظ على أمانة النص الأصلي ارتكازا على مبدأ القصدية.

وستحمل خاتمة البحث جملة من النتائج التي سأتوصل إليها من خلال هذه الدراسة. وحريّ بي في هذا المقام الوقوف عند الدراسات السابقة في هذا المجال لتبيان الفرق بينها وبين هذه الدراسة؛ فلقد تناول العديد من الباحثين في الأدب والترجمة على حد سواء الدرس التداولي ومبادئه بالبحث والدراسة، كونها لاتزال مبحثا غضا يستهوي الكثيرين ومن بين الدراسات السابقة التي وقفت عليها أذكر:

– إيدير إبراهيم، القصدية في الأدب الكبير لابن المقفع –دراسة تداولية–(رسالة ماجستير)، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، دت.؛ حيث تطرق في رسالته إلى تجليات القصدية في النص الأدبي مركزا على دور السياق في الكشف عنها في حين أني ركزت على القصدية في الترجمة جاعلة السياق إضافة إلى ركائز الدرس التداولي الأخرى مفاتيح الكشف عنها وعن تغيراتها وتأثرها بالعملية الترجمية.

– محمدي بوزينة فايزة، المعنى الضمني في الترجمة الأدبية –دراسة تحليلية مقارنة من خلال مسرحية النساء العالمات لموليير–(رسالة ماجيستير)، الجزائر، 2006/2005 تناولت الطالبة في بحثها موضوع الإضمار في الترجمة من وجهة نظر تداولية، واشتملت دراستها التطبيقية على قضية واحدة من قضايا التداولية تمثلت في الإشاريات في حين أني ركزت في موضوع القصدية على المفاهيم التداولية الأخرى.

إضافة إلى أن هذه الدراسة التي قمت بها تهدف إلى:

- توضيح العلاقة بين الترجمة واللسانيات التداولية.
- كيفية تقصي قصدية النص الأدبي من وجهة نظر تداولية، والتطرق لأهم العوامل التي تتدخل في توضيحها.
- مدى إمكانية الحفاظ على قصدية النص أثناء نقله إلى اللغة الهدف.

وككل بحث؛ لم تخل هذه الدراسة من بعض العقبات؛ أهمها فوضى المصطلح حيث وجدت أن المصطلح الواحد في اللغة الأجنبية له عدة مقابلات في اللغة العربية بل ويتداخل مع غيره في بعض الأحيان، مما أوقعني هذا الأمر في نوع من اللبس وخلط في المفاهيم لا سيما في بداية البحث؛ فمثلا لم يتم الإجماع على ترجمة مصطلح "pragmatique" فنجد له العديد من المقابلات في اللغة العربية: تداولية، قصدية براغماتية، وظيفية، وغيرها؛ ناهيك عن باقي المصطلحات فكل قد عرّبها حسب مفهومه

الخاص. ولا بد من الإشارة إلى أني استخدمت في بحثي المصطلحات اللسانية المترجمة الأكثر تداولا.

وفي آخر هذا التقديم؛ جدير بالذكر أن ما تطرقت إليه في بحثي هذا قد يحتمل الخطأ والصّواب فإنْ أصبت فهذا من فضلِ الله، وإنْ أخطأت فمِنْ نفسي، وأسأل الله عزَّ وجلَّ التّوفيق.

وهران، في: 2016/10/25

بلعكرمـــي مريـــم

الفصل الأول: الترجمة واللسانيات التداولية

- نظرية الترجمة في ضوء الدراسات اللسانية
- المجال المفاهيمي للتداولية
- البعد التداولي للترجمة

ارتبطت الترجمة باللغة كونها أداة المترجم في نقل الثقافات المختلفة؛ فاللغة تعدّ أهم وسائل التواصل البشري وأنجع طرق التعبير عن التجارب الإنسانية المختلفة التي تنقلها الترجمة وتلاقح بينها، ولأجل عملية ترجمية ناجحة؛ عمد علماؤها إلى جانب اللغويين إلى التدقيق في جوانبها وطرقها وتحديد أهم الركائز التي تساعد على النقل الأمين من لغة إلى أخرى، وسأقف في هذا الفصل على بعض نظريات الترجمة التي اقترنت بالدراسات اللسانية خاصة؛ لأصل إلى توضيح دور الدرس اللغوي التداولي في إنجاح العملية الترجمية.

أولا: نظرية الترجمة في ضوء الدراسات اللسانية

تُعنى الترجمة الأدبية بترجمة الأدب بمختلف أجناسه، من شعر ورواية ونص مسرحي وغير ذلك، وهي تتميز بتجاوز ذاك المفهوم البسيط المتمثل في نقل دلالات الكلمات؛ خاصة إن تعلق الأمر بالأبعاد الأسلوبية والجمالية والثقافية، ولقد شهدت ترجمة الأدب في العالم حركة غير مسبوقة لا سيما أن الحركة الثقافية الدولية تتنامى باطّراد؛ فالترجمة هي أهم السبل الناقلة لهذه الثقافات وهي مرآة عاكسة لثقافة الآخَر: فإمّا أن تحسن تجسيدها فتُستقبَل برحابة صدر؛ وهذا ما يعرف بالجودة في الترجمة، أو أن تفشل في ذلك فتقدم صورة مشوهة تعيق الاحتكاك الفكري بين المجتمعات.

1- الترجمة الأدبية:

الأدب هو الوعاء الحافظ للثقافة وكلّ ما تفرزه الحضارة من معالم الشخصية لشعب ما، واللغة هي أداة الأدب التي ترسّخه على مر الأزمان، ومن أهم شروط المترجم الأدبي أن « يتسلح بمعرفة أدبية ونقدية لا غنى فيها عن الإحاطة بالثقافة والفكر»[1]؛ من أجل النقل الأمين أثناء الترجمة التي تعد المطيّة التي تنقل فكر وثقافة شعب ما وتعرّف به ليتلاحم

[1] محمد عناني، الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، الجيزة ط. 2، 2003، ص. 6.

مع الثقافات الأخرى. وتجدر الإشارة إلى أن الترجمة الأدبية ليست بالسهولة التي يظنها من ليس من ذوي الاختصاص؛ لكونها علما مستقلا له مبادؤه وشروطه الخاصة. ولطالما عُرفت الترجمة الأدبية بذلك التعقيد؛ لأنها ليست عملية لغوية فحسب وإنما تتجاوز ذلك إلى تحليل النص في بيئته الحيوية؛ بمعنى أن تُحال النصوص إلى خلفيتها الاجتماعية والثقافية والظروف التي أدت إلى إنتاجها حتى يتم التمكن من رصد المقاصد وتحديد المعنى المنوط بالنص الأصل ووضع المكافئ الملائم له.

وتتأتى صعوبتها من كون الأدب في حد ذاته معقد التركيب بأسلوبه وجماليته فلا يسع القارئ إلا أن يرى لمسات الفن والإبداع فيه، فمهمة المترجم تقتضي خلق نفس الأثر للقارئ الهدف ونقل نفس المقاصد التي توخاها الكاتب في اللغة الأصل من خلال نصه متجاوزا ذلك التباين التداولي بين اللغتين (الأصل والهدف)؛ وفي ذلك يقول محمد عناني: « إنّ المترجم الأدبي لا ينحصر همه في نقل دلالة الألفاظ أو ما أسميه هنا الإحالة أي إحالة القارئ أو السامع إلى نفس الشيء الذي يقصده المؤلف أو صاحب النص الأصلي بل هو يتجاوز ذلك إلى المغزى وإلى التأثير الذي يفترض أن المؤلف يعتزم إحداثه في نفس القارئ أو السامع»[1]؛ فالترجمة لا تكتفي بنقل ما هو ظاهر فحسب بل تتعدى ذلك؛ إذ تنقل المقاصد والتأثيرات وإلا انسلخ النص عن هدف وجوده أساسا.

2- النظرية اللسانية للترجمة الأدبية:

اقترنت الترجمة بالدراسات اللغوية منذ القدم، ومع ظهور اللسانيات أخذت نظرية الترجمة منحى أكثر دقة مما سبق؛ إذ أصبح سبر أغوار النص وفك مغاليقه يعتمد على التحليل اللغوي بمستوياته المختلفة، الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي، واستنادا على هذا تم تحديد التقنيات والطرائق التي يمكن استعمالها أثناء العملية الترجمية، وبدأ

[1] محمد عناني، الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، ص. 6.

التنظير اللغوي للترجمة يمتزج تدريجيا بعلوم أخرى كاللسانيات وعلم الاجتماع.

لقد مرت النظرية اللسانية للترجمة بمراحل عديدة، تطورت موازاة مع تطور اللسانيات وتعدد فروعها وصولا إلى اللسانيات التداولية التي لاتزال مبحثا غضّا لم يصل مرحلة النضوج والتي تجاوزت الحدود التي فرضتها القوانين اللسانية التقليدية وأقحمت مستعمل اللغة في الدراسة والتحليل بعد أن أُقصِيَ من حقل الدراسات طويلا. وسأحاول في هذا المقام توضيح العلاقة المتنامية بين هذين العلمين –الترجمة والتداولية– بالمرور على بعض أهم النظريات اللسانية للترجمة وبشكل مختصر لأني في مقام توضيح لا في مقام تفصيل؛ كعتبة أقف عليها قبل طرق موضوع القصدية التداولية في الترجمة محور هذا البحث.

2-1- مرحلة ما قبل اللسانيات:

لقد شهدت حركة الترجمة مع انتشار المسيحية ثورة لم يسبق لها مثيل؛ فلقد انصب أول الأمر اهتمام المترجمين على ترجمة الكتاب المقدس ترجمة حرفية، وبعدها ظهرت ترجمة المعنى، وتصدّرت ترجمة الكتاب المقدس قائمة اهتمامهم حتى القرن السابع عشر؛ حيث انشطر التوجه في تلك الفترة إلى قطبين: الترجمة الحرفية أو ترجمة المعنى بأسلوب مغاير للنص الأصلي.

يعد شيشيرون (Ceceron) أول من قام بالتمييز بين هذين القطبين؛ حيث أشار إلى ذلك أثناء ترجمته لخطب ديموستين (Demosthenes) وأيخينيس (Aeschines) الخطيبين الشهيرين؛ فلم ير من الضرورة أن يترجم كل كلمة بكلمة تقابلها بل قام بترجمة المعنى الإجمالي الذي تشكله الكلمات محافظا على نفس وتيرة اللغة وقوتها.[1] ولقد انتهج سانت جيروم خُطَا شيشيرون؛ وتقول باسنيت في هذا الصدد:

---

[1] ينظر: محمد عناني، نظرية الترجمة الحديثة –مدخل إلى مبحث دراسات الترجمة–، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، الجيزة، ط.1، 2003، ص. 27.

« St Jerome declared he has translated sense for sense rather than word for word, but the problemof the fine line between what constituted stylistic licence and what constituted heretical interpretationwas remain a major stumbling block for centuries.»[1]

« صرح سانت جيروم أنه قام بترجمة المعنى بالمعنى بدل ترجمة الكلمة بكلمة مقابلة لها ولكن المشكلة التي بقيت حجر عثرة لقرون عديدة هي الخط الفاصل بين ما هو امتياز أسلوبي وماهو تأويل هرطقي.»

وهذا يعني أن هذا النوع من الترجمة أثار حفيظة المترجمين الملتزمين بالحرفية لا سيما وأنّ الأمر يتعلق بالكتاب المقدس الذي لا يجوز تأويل معانيه بل نقلها حرفيا لأن تأويل المعاني ونقلها بأسلوب المترجم يكون خاضعا للأهواء والنزعات الشخصية وبالتالي هي انحراف وخروج عن المعتقد الأصل أو ما يسمى بالهرطقة.

ظهرت إرهاصات التنظير اللساني في الترجمة مع سانت أوغوستين (Saint Augustin 354-430)، في الزمن الذي كانت فيه الترجمة ضرورة لا مناص منها لأنها وليدة الحاجة الملحة للتواصل بين المجتمعات لأغراض مختلفة؛ فقام باقتراح منهجية تقوم على تحديد خصائص الكلمة ويرى أن:

« Le signe est composé de le *significatio*, construction de l'esprit dérivée de la perception du réel, et du *sonus*, groupe de sons qui y est associé. Leur rapport est arbitraire.»[2]

« العلامة تتكون من شقين: دلالتها، أي التركيبة الذهنية المستمدة من الواقع ومن الأصوات (sonus) وهي مجموع الأصوات المقترنة بها وتربط بينهما علاقة اعتباطية»؛ فالكلمات تكون مجردة لا دلالة لها إلّا إنْ اقترنت بما تشير إليه في الواقع الذي

[1] Susan Bussnet, Transaltion studies, Routledge, London & New York, 3rd edition, 2005 p. 53.

[2] Inês Oseki-Dépré, Théories et pratiques de la traduction littéraire, Armand Colin, Paris 1999, p.45.

تم تعيينه عن طريق التجربة أو بالاتفاق عليه. ويرى سانت أوغستين أنّ لهذه العلاقة الاعتباطية بين الصوت (sonus) ودلالته ثلاثَ نتائج:

- On ne peut connaître les mots sans avoir une expérience directe ou indirecte de ce qu'ils signifient ;
- Plusieurs *sonus* peuvent avoir une seuls *significatio* (c'est le cas de synonymie).
- Plusieurs *significationes* peuvent etre exprimées par un seul sonus (c'est le cas de ma polysémie).[1]

- لا يمكن تحديد دلالات الكلمات دون اقترانها بما تشير إليه عن طريق تجربة ما.
- يمكن لعدة أصوات (sonus) أن تكون لها نفس الدلالة كما هو حال المرادفات.
- كما يمكن أن يُعبَّر عن عدة دلالات بصوت (sonus) واحد كما هو حال تعدد المعاني (la polysémie).

وتحمل هذه النتائج نفس الفكرة الذي وردت عند دي سوسير فيما بعد، والتي مفادها أن العلاقة بين الدال والمدلول اعتباطية لا يتدخل الأفراد في تحديدها؛ وإنما هي وليدة التجربة. وتهتم الترجمة بالبحث عن دلالات الكلمات وإيجاد مكافئاتها في اللغة الهدف وتتأتّى الصعوبة إن تعلق الأمر بأشياء غير واردة في ثقافة ما؛ إذ يتعذر إيجاد المكافئ الصحيح إن تعذرت معرفة دلالة الكلمة.

لقد ساد الاعتقاد أن التنظير الفعلي للترجمة لم ير الضوء إلا في القرن العشرين بينما كان للعرب السبق في هذا المجال؛ حيث تبوأت الترجمة عندهم مكانة في غاية الأهمية وشهدت ثورة عارمة خاصة في العصر العباسي، واعتمد المترجمون آنذاك الترجمة الحرفية والترجمة بالمعنى؛ فمثلا «اتسمت ترجمات يوحنا بن البطريق بالحرفية، بينما كانت ترجمات

---

[1] Inês Oseki-Dépré, Théories et pratiques de la traduction littéraire, pp. 45-46.

بن نعيمة الحمصي حرة»[1]، ونجح ابن المقفع (ت. 142هـ) في ترجمة كليلة ودمنة من الفارسية ترجمة حرة مع مراعاة الأصل؛ فأنتج واحدة من روائع الترجمات الأدبية.

لقد تم وضع حجر الأساس لنظرية الترجمة منذ قرون سحيقة، ولا أدلّ على ذلك مما أورده الجاحظ (255هـ) في كتابه "الحيوان" حين قام بذكر قواعد أساسية للترجمة، ومن المعروف عنه إدمانه قراءة الترجمات المختلفة ولقد كانت نظريته وليدة تأملاته العميقة لهذه النصوص؛ فقام من خلالها برسم الحدود ووضع الشروط لما يجب أو لا يجب على المترجم فعله أثناء النقل من لغة إلى أخرى، فهو يرى أن «الشِّعر لا يُستطاع أن يترجم، ولا يجوز عليه النقل ومتى حُوِّل تقطَّع نظمُه، وبطل وزنُه، وذهب حُسنه، وسقط موضع التعجب، لا كالكلام المنثور، والكلامُ المنثور المبتدَأ على ذلك أحسنُ وأوقع من المنثور الذي تحوَّل من موزون الشعر»[2].

يؤكد الجاحظ أن ترجمة الشعر تفقده ميزاته أو على الأقل جزء منها كالوزن والأسلوب والقافية، وإن ترجم إلى نثر فسيفقد النص رونقه وجماله، ولا يؤثر في النفس كما يفعل النص الأصل. وإذا ما تمت مقارنتها بالنثر المترجم فإن هذا الأخير تحسُن ترجمته مع الحفاظ على قوتة وتيرته كما وردت في النص الأصل فبذلك يكون أجود منه ؛ فهما امتلك المترجم من البراعة لا يستطيع نقل الشعر من اللغة الأصل في شكل قالب نثري في اللغة الهدف ولا يبلغ الشعر المترجم منزلة النص الأصلي ولا يرقى حتّى إلى مستوى النثر المنقول. وقام الجاحظ بوضع جملة من الشروط التي ينبغي أن تتوفر في المترجم؛ إذ لا بد أن تكون له قدم راسخة في العلوم والمعارف التي تشتمل عليها الترجمة وضليعا باللغتين الأصل والهدف

---

[1] محمد عناني، نظرية الترجمة الحديثة –مدخل إلى مبحث دراسات الترجمة–، ص. 28.

[2] الجاحظ، الحيوان، تح/ عبد السلام محمد هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط. 2 1965، ج. 1، ص. 75.

متبحرا في ثناياهما، ويرى أن ما يرد من أخطاء في الترجمة فلعدم الكفاية من العلم في ذلك المجال الذي يترجم فيه.[1]

بالرجوع إلى الحديث عن الترجمة عند الغرب؛ فلقد ظهرت في القرن السادس عشر نظرية فعلية للترجمة على يد دو ميرزياك (Claude-Gaspard Bachet 1581-1638) التي جاءت لنقد ترجمات جاك آميوت (Jacques Amyot 1513-1593) لمؤلفات المؤرخ والفيلسوف اليوناني بلوتارخُس(Plutarque)، وتعد نظريته الوصفية الأولى من نوعها في الغرب؛ فهو أول شخص صنّف إجراءات الترجمة، بعد دراسته المقارنة وتحليله للترجمات مع نصوصها الأصلية.

وخلص دومزرياك إلى وضع تصنيف للتقنيات التي استعملها آميوت؛ نحو: الحشو المفرط، الحذف وأخطاء المعنى والتأويل، والمقصود بالحشو المفرط استعمال كلمات أكثر مما يجب في الترجمة، يمكن أن تزيح الجملة أو النص المترجم عن معناه الأصلي، والحذف عكس ذلك فهو الاستغناء عن كلمات أو أجزاء من الجمل تسبب خللا في المعنى أما أخطاء المعنى والتأويل قد يكون مردها إلى أسباب عديدة من بينها نقص كفاءة المترجم.[2]

لم تُنقَد ترجمات آميوت فقط لتحديد التقنيات والآليات التي استعملها المترجم، إنما كشف نقد دو مزرياك لها عن مواطن ضعف الترجمة، وسطر الأخطاء التي وقع المترجم ضحيتها لكن يبقى من المؤكد أنها كانت نقطة رابطة بالفعل بين التحليل اللساني والعملية الترجمية.

كان شاتوبريون (François-René de Chateaubriand, 1768-1848) من أهم المؤلفين الذين ذاع صيتهم آنذاك، لا سيما بعد ترجمته الملحمة الشعرية "الفردوس المفقود" للشاعر

---

[1] ينظر: الجاحظ، الحيوان، ص. 76–77.

[2] Voir: Inês Oseki-Dépré, Théories et pratiques de la traduction littéraire, p. 48.

الإنجليزي الشهير جون ميلتون (John Milton, 1674-1608)؛ حيث أمضى أعواما عديدة في إنجازها متبنيا الطريقة التي رآها الأوفى والأمثل في نقل النصوص وترجمتها، إضافة إلى إلمامه بالأحداث التاريخية والدينية التي تزخر بها الملحمة.

ولقد أرفق بالترجمة تبريرات وشروح وافية لاختياراته الترجمية، كما أوضح الخطوط العريضة لمنهجه؛ مصنفا بذلك التقنيات التي استعملها أثناء النقل؛ ومن بينها النسخ، فقال في مقدمة ترجمته:

« لقد نسخت قصيدة ميلتون كماهي» [1] «J'ai calqué le poëme de Milton à la vitre»

كما اعترف أنه قد واجه صعوبات أثناء الترجمة لا سيما وأن ميلتون استعمل لغة معقدة إلى حد ما، فلجأ إلى استعمال تقنية أخرى وهي "الاقتراض". ولقد أشار أنطوان برمان إلى ترجمته قائلا: «صحيح أن ميلتون غرف أيضا من الإغريق ومن إيطاليي النهضة ومن الباروك، فقد كتب في شبابه أشعارا بالإيطالية من أربعة مقاطع لكن عمله مطبوع أساسا باللاتينية والمسيحية، ولهذا الأمر علاقة بالترجمة وبالحرفية؛ ذلك أن الشاعر قد نقل مقاطع من النسخ الإنجليزية للكتاب المقدس والتعابير التوراتية واللاتينية والإغريقية والإيطالية وقد مرّت هذه الممارسة التناصية (intertextuelle) للإقتباس عبر الترجمة»[2].

ولقد عارض شاتوبريان إضفاء أيّ لمسة شخصية على نص ميلتون؛ فركز على ترجمة أسلوب الكاتب الأصلي محافظا أثناء نقله على مميزاته وكان هذا على حساب الشكل العام للقصيدة؛ إذ قام بنثرها أفقيا حيث اختفت البنية الإيقاعية، ولم يلمس الأصل إلا في حالة الضرورة القصوى في مواضع بدت له أن الكاتب الأصلي قد غفل عنها؛ فيقول:

---

[1] John Milton, Le paradis perdu, traduit par :François-René De Chateaubrian, Renault & Cie : Libraires Éditeurs, Paris, p. III.

[2] أنطوان برمان، الترجمة والحرف أو مقام البعد، تر/ عز الدين الخطابي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ط.1، 2010، ص. 132.

« Je n'ai rien ajouté au texte; j'ai seulement quelquefois été obligé de suppléer le mot collectif par lequel le poëte a oublié de lier les parties d'une longue énumération d'objets.»[1]

« لم أضف شيئا إلى النص الأصلي، فقط كنت مرغما في بعض الأحيان على إبدال الكلمة المشتركة بالكلمة التي نسي الشاعر أن يربط بها أثناء تعداد سلسة من الأشياء». كان شاتوبريان رائد الكتابات النثرية بلا منازع في أوربا آنذاك وشاعرا في الوقت ذاته لكنه اختار الترجمة الحرفية، مع العلم أنه كان قادرا على ترجمة القصيدة بأسلوبه الخاص وإنتاج نص يرقى بلا شك إلى مستوى النص الأصلي، لكنه أراد أن ينفخ في ترجمته روح الأصل فرأى أن الترجمة الحرفية هي الطريقة الأسلم للحفاظ على أسلوب شاعر كبير بحجم ميلتون.

رغم الكتـابات التي عالجـت موضوع الترجمـة إلى حـد الآن، إلا أنها لاتـزال تفتقـر إلى مرتكز علمي تستند عليه إلى أن ظهرت اللسانيات، فبظهورها نالت الترجمة نصيبا وافرا مـن الاهتمـام ولفتـت انتبـاه اللغـويين والمنظـرين خاصـة بعـد أن تـم تصـنيفها كفـرع من فروعها، وفي هذا الصدد يقول حاتم ومايسون:

« The emergence of linguistics as a new discipline in the twentieth century brought a spirit of optimism to the pursuit of language study, a feeling that the groundwork was at last laid for a systematic and scientific approach to the description of language.» [2]

« لقد بعث ظهور اللسانيات كعلم جديد في القرن العشرين بروح التفاؤل فيما يتعلق بحقل دراسة اللغة، فالأساس أصبح أخيرا مهيأً نحو مقاربة نظامية وعلمية لوصف اللغة».

2-2- الترجمة والثورة اللسانية:

مما لا شك فيه أن ظهور اللسانيات السوسيرية قد أحدث ثورة عارمة في مجال البحث اللغوي حين أضفت عليه سمة العلمية، وسرعان ما ارتبطت بالعلوم الأخرى كعلم الاجتماع

---

[1] John Milton, Le paradis perdu, p. VIII.

[2] Basil Hatim and Ian Mason, Discourse and the translator, Longman, U.K., 1990 p. 22.

وعلم النفس وغيرهما، وينطبق الأمر نفسه على الترجمة؛ فلا يمكن سوى الإقرار بالعلاقة الوثيقة بينهما والتي يؤكدها سيل الكتابات العارم، ويوضح موريس بيرينيي طبيعة الترجمة بقوله:

« La traduction, en effet, tout le monde commence à en convenir, chez les linguistes comme chez les traducteurs, est une opération linguistique portant sur des contenus de sens propres à des messages particulierset non une recherche d'équivalences entre des unités appartenant à deux langues en tant que telle.»[1]

« أجمع كل من اللسانيين والمترجمين على أنها عملية لسانية تشتمل على المعنى المتضمَّن في رسالة ما؛ وليست بحثا عن مكافئات بين وحدات كما هي تنتمي إلى لغتين مختلفتين». وتطورت اللسانيات وتشعبت فروعها وظهرت اللسانيات التقابلية التي درست الترجمة كواحدة من الإشكاليات التي تطرحها اللغة، وتسعى بمقارنها للغات إلى التنقيب عن المشاكل التي تحول بينها وبين متعلميها، فالهدف من ذلك كان في المقام الأول تعليميا.

ظهر اهتمام اللسانيات بالترجمة بشكل فعلي في منتصف القرن العشرين، فلم توجد قبل هذه الفترة كتابات مسهبة بشأنها ولم يقف عندها رواد اللسانيات أمثال دي سوسير وبلومفيلد وغيرهما إلا إن تم ذكرها بشكل عرضي، ولقد أشار جورج مونان إلى هذه النقطة قائلا: « ... الترجمة كظاهرة وكمشكل مميز للغة هي عبارة عن شيء مجهول تماما من قبل المؤلفات اللغوية »[2].

لقد تبلورت عدة نظريات انطلاقا من مرتكزات ومبادئ لسانية، على يد لسانيين ومترجمين؛ من بينهم جون كاتفورد وألبرت يوجين نيدا ورومان جاكبسون وغيرهم محاولين

---

[1] Maurice Pergnier, Théorie linguistique et théorie de la traduction, Meta: journal des traducteurs, Montréal, septembre 1981, vol. 26, n°3, p. 258.

[2] جورج مونان، اللسانيات والترجمة، تر/ حسين بن زروق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط. 2 2011، ص. 18.

وضع منهج علمي يستدل به المترجم أثناء العملية الترجمية؛ فمنها –النظريات– ما كان لسانيا بحتا ومنها ما أضيف إليها مبادئ أخرى وامتزجت بعلوم أخرى. وسأحاول المرور على بعض منها بشكل مقتضب.

أ –نظرية يوجين ألبرت نيدا (Eugene Albert Nida)

يعد يوجين نيدا رائدا في مجال الترجمة وتصنَّف نظريته من بين أهم النظريات السوسيولسانية؛ وذلك لأنها وليدة جهد جهيد وسنوات طوال من تمرّس ترجمة الكتاب المقدس، حيث توصل إلى أن الاختلاف بين الثقافات يسبب تعقيدات أكثر مما يسببه الاختلاف اللغوي، وتتم الترجمة في نظره انطلاقا من مبدأين: مبدأ التكافؤ الشكلي، ومبدأ التكافؤ الديناميكي.

يعنى التكافؤ الشكلي، كما تشير إليه التسمية، إيجاد المطابق أو المكافئ في اللغة الهدف مع الحفاظ خاصة على شكل الأصل وأيضا على المضمون؛ ويقول نيدا في هذا الصدد:

« The formal equivalence focuses attention on the message itself, in both form and content …. The message in the receptor language should mutch as closely as possiblethe different elements in the source language. »[1]

« يركز التكافؤ الشكلي على الرسالة بحد ذاتها شكلا ومضمونا ... ويجب أن تطابق الرسالة في اللغة الهدف قدر الإمكان عناصر اللغة الأصل»، وبالتالي يقوم هذا المبدأ على أساس احترام التركيب الأصلي أثناء نقله إلى اللغة الهدف، كمراعاة نَظْم الكلِم داخل التركيب؛ فتتم الترجمة هنا على مستوى اللغة لا الكلام متجاهلة بذلك متلقي النص وثقافته. أما التكافؤ الديناميكي فيكون على مستوى الكلام عكس سابقه، ويعتبر المتلقي أهم عنصر في العملية الترجمية، و يقوم هذا المبدأ على محاكاة ردة فعل المتلقي الهدف لردة فعل المتلقي الأصل:

[1] Eugene A. Nida, Toward a Science of Translating, Leiden: E. J. Brill, Netherlands, 1964 p.159.

« In such a translation one is not concerned with matching the receptor-language message, but with the dynamic relationship, that the relationship between receptor and message should be substantially the same as that existed between the original receptors and the message. »[1]

« لا يولي المترجم اهتماما بالغا بمطابقة رسالة اللغة الهدف برسالة اللغة الأصل بل بالعلاقة الدينامية، فيجب أن تكون العلاقة بين المتلقي الهدف والرسالة المترجمة هي نفسها القائمة بين المتلقي الأصل والرسالة الأصل»؛ بمعنى أن يعملعلى خلق نفس تأثير النص الأصلي على قارئه، ولأجل تحقيق ذلك تعدى النقل هنا الجانب اللساني إلى الأخذ بعين الاعتبار الخلفية الثقافية التي تلائم القارئ الهدف.

شكّلت نظرية نيدا منعرجا هاما في الترجمة؛ حيث نقلتها من المستوى اللساني البحت إلى السوسيو لساني، إلا أن هناك من المنظرين من تمسك بالمبدأ القائل إنّ الترجمة عملية لسانية لا غير مثل جون كاتفورد.

وجدير بالذكر أن رومان جاكوبسون قد اهتم هو الآخر بقضية التكافؤ في الترجمة حيث ركز جاكوبسون على قضية التكافؤ بين اللغات باعتباره نقطة محوريـة تهتم اللسانيات بمعالجتها؛ فالترجمة من لغة إلى أخرى هي ترجمة للرسالة التي تحتويها ولا تشتمل فقط على استبدال رموز في لغة ما برموز مكافئة في لغة أخرى، والتكافؤ لا يعني تكافؤ الرموز بل تكافؤ الرسالتين؛ وفي هذا الصدد يقول:

« Most frequently, however, translation from one language into another substitutes messages in one language not for separate code-units but for entire messages in some other language. Such a translation is a reported speech; the translator recodes and transmits a message received from another source. Thus translation involves two equivalent messages in two different codes.»[2]

---

[1] Eugene A. Nida, Toward a Science of Translating, p. 159.

[2] Roman Jakobson, On Linguistic Aspects of Translation, In Lawrence Venuti ed., The Translation Studies Reader, Routledge, London, 2000, p. 114.

« غالبا ما نستبدل، في الترجمة من لغة إلى أخرى، رسالة في لغة ما، ليس بوحدات معزولة وإنما برسالة كاملة من اللغة الأخرى وتعد هذه الترجمة نوعا من الخطاب غير المباشر فالمترجم يعيد الترميز ويعيد نقل رسالة آتية من مصدر آخر، وبهذا تستلزم الترجمة رسالتين متكافئتين في نظامين رمزيين مختلفين».

يرى جاكوبسون أن التكافؤ يكون على مستوى البنى اللغوية (التراكيب النحوية) ومكافئات الألفاظ (المصطلحات)؛ فيمكن لأي لغة أن تستقبل المحتوى المعرفي المتضمن في اللغة المصدر بطريقة أو بأخرى، كما يمكن معالجة مواطن الضعف في الترجمة باستعمال أحد التقنيات الملائمة:

« Whenever there is deficiency, terminology may be qualified and amplified by loan-words or loan-translations, neologisms or semantic shifts, and finally, by circumlocutions.» [1]

« فحيثما وجد القصور يتم تعديل المصطلحات وتوسيعها بالاقتراضات والمحاكاة والمولدات والانزياح الدلالي وأيضا التعبير بالشرح». وما جاء به جاكوبسون هو تأكيد آخر لأهمية التكافؤ في العملية الترجمية الذي لا يقتصر فحسب على النقل اللغوي.

ب –نظرية جون كاتفورد (John Catford)

وضع كاتفورد أسسا لسانية لنظرية الترجمة؛ باعتبار الترجمة فرعا من فروع اللسانيات المقارنة، ويرى أن الترجمة هي عملية لغوية بحتة وهي:

« The replacement of textual material in one language (SL) by equivalent textual material in another language (TL). »[2]

« استبدال العناصر النصية في لغة ما بعناصر نصية مكافئة في لغة أخرى»؛ إذ يكون التغيير هنا على المستوى التركيبي أو النحوي، فتستبدل المفردات والقواعد في لغة معينة

---

[1] Roman Jakobson, On Linguistic Aspects of Translation, p.115

[2] John Catford, A Linguistic Theory of Translation, Oxford University Press, London 1965, p. 20.

بمفردات وقواعد لغة أخرى. وانطلاقا من مبدأ "الترجمة عملية استبدال لغوي" ميز بين نوعين: الترجمة الكاملة (traduction totale)، والترجمة المقيدة (traduction restrictive) فالأولى تكون على مستوى النص بأكمله، والثانية تكون على مستوى واحد فقط سواء الصوتي أو الصرفي أو النحوي أو على مستوى المفردات المعجمية، ويرى كاتفورد أنّ الترجمة المقيدة الملتزمة بضوابط وقواعد اللغة هي الأمثل.[1]

كما قام بتصنيف نوعين من التكافؤ: التكافؤ النصي (Equivalence textuelle) والتطابق الشكلي (correspondance formelle)؛[2] فالأول يُقصد به التكافؤ بين نصين في لغتين مختلفتين أو جزء منهما، أما التطابق يستعمل لوصف الأنظمة اللغوية كالبنى اللغوية وعناصرها وترتيب الكلمات؛ أي انحصار الترجمة في إطار التطابق الشكلي للغة.

بالإضافة إلى أنه تطرق لموضوع استحالة الترجمة اللغوية والثقافية، فاستحالة الترجمة اللغوية مردها إلى الفروق اللغوية الموجودة بين اللغتين –المترجم منها وإليها–؛ ويعد إخفاقا في نقل معنى النص بسبب عدم توفر اللغة الهدف على نفس السمات اللغوية الموجودة في اللغة المصدر، أما استحالة الترجمة الثقافية فقد عدّها نوعا من الأولى؛ وهي متعلقة بالفروق الثقافية؛ فمن غير الممكن ترجمة العناصر التي تشكل الملامح الثقافية لنص ما؛ وذلك راجع لانعدام وجودها في اللغة الهدف؛ و في هذا يقول:

« To talk of ‘cultural untranslatability’ may be just another way of talking about colocational untranslatability: the impossibility of finding an equivalent collocation in the TL. »[3]

«إن الحديث عن استحالة الترجمة الثقافية يمكن أن يكون مجرد طريقة أخرى للتحدث عن استحالة ترجمة المتلازمات اللفظية أي استحالة إيجاد متلازم لفظي في اللغة الهدف».

---

[1] See: John Catford, A Linguistic Theory of Translation, p. 22.
[2] See: Ibid., p. 27.
[3] Ibid., p. 101.

لقد حاول كاتفورد الاستناد على المستويات اللسانية في الترجمة؛ فلا بد على المترجم الإلمام بالقواعد اللغوية للغتين، لكنه أغفل بشكل تام العناصر غير اللسانية الفاعلة فيها وإن كان لا بد من الإقرار بالعلاقة الوثيقة بين اللغة والترجمة؛ فهذا لا يبرر أن تكون الترجمة حكرا على التحليل اللغوي البحت فقط.

ج – نظرية فيني وداربيلني (J.-P. Vinay et J. Darbelnet)

قام الكنديان فيني وداربيلنيه بدراسة الترجمة في إطار لساني مؤكدّين على تبعية الترجمة للسانيات، وسعَيَا باستعمال الأسلوبية المقارنة إلى وضع قواعد ثابتة وتحديد تقنيات للترجمة، وهدفا إلى تأسيس نظرية للترجمة بالاعتماد على البنى اللغوية.

إن الترجمة في نظرهما هي تقريب بين نظامين لغويين، ولقد ميزا بين نوعين منها: المباشرة أو الحرفية (direct ou littérale) والمائلة (oblique)؛ ويوضحان قائلين:

« Il peut arriver que le message LD se laisse parfaitement transposer dans le message LA, parce qu'il se repose soit sur des catégories parallèles, soit sur des conceptions parallèles. Mais il se peut aussi que le traducteur constate dans la LA des trous ou 'lacunes', qu'il faudra combler par des moyens équivalents. »[1]

« يمكن استبدال الرسالة في لغة الانطلاق بشكل مثالي في رسالة لغة الوصول لتوازي البنى أو توازي المفاهيم، وأحيانا يجد المترجم في لغة الوصول ثغرات يتعين عليه سدها بتقنيات مكافئة». ولقد صنفا على هذا الأساس سبع طرائق للترجمة؛ ثلاث منها تخص الترجمة المباشرة:[2] فيندرج تحت النوع الأول طريقة الاقتراض؛ وهو نقل الكلمة صوتيا من لغة الانطلاق لعدم وجود مكافئ لها في لغة الوصول فتصبح كلمة دخيلة عليها، وطريقة النسخ التي تعدّ نقلا للبنية التركيبية من لغة الانطلاق وترجمة عناصره حرفيا؛ مثل أورو

[1] Jean-Paul Vinay et Jean Darbelnet, Stylistique comparée de l'anglais et du français Didier, Paris, 1958, p. 46.

[2] Voir : Ibid., pp. 47 – 48.

متوسطي «Euro-Mediterranean»، أو نقلا للتعبير مع احترام ترتيب العناصر في لغة الوصول نحو قولنا: «jouer un rôle » لعب دورا، وثالثا طريقة الترجمة الحرفية؛ ويتم بها استبدال وحدات النص في لغة الانطلاق بما يكافئها من وحدات في لغة الوصول.

أما فيما يخص طرائق الترجمة غير المباشرة أو المائلة فهي أربع[1] فأولها الإبدال ويقصد به استبدال جزء من الخطاب بآخر في لغة الوصول دون أن يؤثر هذا على معنى الرسالة؛ نحو: ترجمة الصفة بالفعل أو الفعل بالمصدر وغير ذلك. وثانيها التطويع؛ ويقصد به التغيير على مستوى الرسالة حسب الرؤى المختلفة؛ فيمكن للمترجم الانتقال من السبب إلى النتيجة أو من الجزء إلى الكل؛ نحو قولنا: "Il a fait un discours" "ألقى كلمة" وتكون هذه الطريقتان في مواضع اختيارية وفي أخرى إجبارية.

ويعد التكافؤ طريقة ثالثة للترجمة غير المباشرة؛ وهو إنتاج لنفس النص والموقف بأساليب وبنى مختلفة، ويكون نتيجة لاختلاف وجهات النظر وتعبيرا عن حقيقة خارجة عن اللغة؛ بمعنى أنه يهتم بالموقف الذي تصوره الرموز اللغوية؛ كترجمة الأمثال الشعبية وآخر طريقة هي التكييف وتعنى هذه الطريقة بالتكافؤ على مستوى المواقف، واللجوء إلى هذه التقنية يكون مرده إلى اختلاف الخصائص الحضارية والثقافية؛ نحو قول العربي بحكم البيئة الحارة التي يعيش فيها: "أثلج هذا الخبر صدري"، وترجمتها إلى الثقافة الفرنسية "Cette nouvelle m’a réchauffé le cœur"؛ بحكم بيئة الفرنسي الباردة.

لما أهملت الأسلوبية المقارنة الجانب النصي؛ لم تعد مركز اهتمام الدراسات المعاصرة فيقول ماثيو كيدار (Mathiew Guidère) في هذا الصدد:

« L’approche "stylistique comparée" a fini par être abandonnée parce qu´elle était orientée vers le transcodage, c´est-à-dire vers des correspondances

[1] Voir : Jean-Paul Vinay et Jean Darbelnet, Stylistique comparée de l'anglais et du français, pp. 50 – 53.

virtuelles de mots au lieu de rechercher des équivalences de messages. »[1]

« انتهت مقاربة الأسلوبية المقارنة بالإهمال لأنها اهتمت بالتشفير؛ أي بالبحث عن المكافئات الافتراضية للكلمات عوض أن تبحث عن مكافئ الرسالة».

د – نظرية جورج مونان (George Mounin)

يعد جورج مونان هو الآخر من علماء اللسانيات البارزين الذين اهتموا بالترجمة ولقد قام بتوضيح العلاقة الوثيقة القائمة بين اللسانيات والترجمة؛ من منطلق أن الترجمة هي اتصال اللغات (un contact de langue) وعلى هذا الأساس يمكن دراسة الترجمة من منطلق لساني كما يمكن للترجمة أن تقدم الكثير للسانيات؛ فهو يرى أن:

« L'observation du comportement des langues dans des situations de contact, à travers les phénomènes d'interférence, offre une méthode originale pour étudier les structures du langage. » [2]

«ملاحظة سلوك اللغات في وضعية التواصل، ومن خلال ظواهر التفاعل يقدم طريقة أصلية لدراسة بنى الكلام». فإذا تم القيام بالتحليل اللساني للغات في وضعية التواصل؛ من خلال دراسة اللغة على الصعيد الصوتي والمعجمي والتراكيبي والمورفولوجي؛ يمكن معرفة الأسس التي تشكلت من منطلقها الأصوات، والقواعد التي على أساسها صيغت الجمل.

أشار جورج مونان إلى أن تعلم الترجمة يمكّننا من التعرّف على طريقة تركيب اللغات وعلى الاطلاع العميق بثقافاتها؛ « فتعلم لغة يعنى شيئين اثنين: تعلم تراكيب وكلمات هذه اللغة وكذلك تعلّم العلاقة الموجودة بين التراكيب والكلمات والواقع غير اللغوي وحضارة

---

[1] Mathieu Guidère, Introduction à la traductologie - Penser la traduction : hier, aujourd'hui, demain-, De Boeck, Bruxelles, 2ième édition, 2010, p. 47.

[2] George Mounin, les Problèmes théoriques de la traduction, Edition Gallimard, paris, 1963, pp. 3 – 4.

هذه اللغة وثقافتها»[1]؛ وبالتالي فإن الإلمام بالواقع اللغوي والحضاري والثقافي للغة الأصل يساعد على نجاح النقل من لغة إلى أخرى؛ فالجانب اللغوي لوحده لا يكفي في الترجمة لأن استنباط دلالات الكلمات مرتبط بفهم الواقع الذي تنتمي إليه.

وتعد المقاربة التي قام بها مونان واحدة من أهم المقاربات؛ لأنه أثبت أن الترجمة تأخذ بعين الاعتبار عناصر أخرى إضافة إلى اللغة، فالعوائق التي يصطدم بها المترجم ليست دائما لغوية وهي الأكثر تعقيدا؛ فالترجمة لا تشتمل على عناصر لسانية فحسب وإنما على عناصر أخرى غير لسانية؛ وأي عملية تحليل في الترجمة هي مستمدة بالأخص من اللسانيات.

لقد اهتم منظرون ولسانيون آخرون بالترجمة باعتبارها عملية لسانية؛ ومن بينهم أندري فيدوروف الذي أكد على وجوب إدماج أي نظرية للترجمة في علم اللغة، ولكن التحليل اللساني للغات شهد لحد الآن ضعفا لعدم اشتماله على جميع عناصر الخطاب إلى أن ظهرت المقاربة التداولية التي كانت بمثابة « رد فعل على منهجية نوام تشومسكي التي ترتكز على التركيب والدلالة وتقصي الوظيفة السياقية، وهي وظيفة ضرورية لاكتمال الفهم الحقيقي المتعلق باللغة الإنسانية »[2]؛ فقامت بتغطية مواطن الضعف التي خلفتها اللسانيات البنيوية والتوليدية التحويلية التي ركزت على القواعد والقوانين اللغوية مقصية السياق من لب الدراسة.

---

[1] جورج مونان، اللسانيات والترجمة، ص.55.

[2] جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، مكتبة المثقف، المغرب، ط 1، 2015م، ص 11.

ثانيا: المجال المفاهيمي للتداولية

مما لا شك فيه أن لظهور اللسانيات السوسيرية فضلا كبيرا في تطور نظرية الترجمة ولكن ما يؤخَذ عليها هو فصلها بين اللغة والكلام؛ إذ ركز البحث اللساني فقط على الجزء القار الثابت وهو اللغة، واعتبرته أساس الدراسة باعتبار أن:

« En séparant la langue de la parole, on sépare du même coup ce qui est social de ce qui est individuel, et ce qui est essentiel de ce qui est accessoire et plus ou moins accidentel. »[1]

«إنّ الفصل بين اللغة والكلام يعني الفصل بين ما هو اجتماعي وما هو فردي وكذلك الفصل بين ما هو جوهري وما هو ثانوي وعرضي إلى حد ما».

نتج عن تطور اللسانيات ميلاد فرع جديد تمثل في اللسانيات التداولية التي تداركت مواطن الضعف التي خلفتها الدراسات السابقة –كما سبق الذكر– وركزت على منتج الخطاب بالدرجة الأولى وعلى مقاصده، والتي استُثمرت في مجال الترجمة بما أن هذه الأخيرة تقتضي الأمانة في نقل مضامين الكلام ومقاصده؛ وهذا ديدن الدراسة التداولية.

1– التداولية؛ مفهوما ونشأة:

تعددت التعاريف الرامية إلى تحديد مفهوم التداولية بتعدد الرؤى وقد حاولت المرور على بعض منها لتوضيح معالمها.

1-1– مفهوم التداولية:

جاءت كلمة التداولية ترجمة لما يقابلها في الإنجليزية Pragmatics وفي الفرنسية pragmatique. و« أصلها من اليونانية pragma والتي تعني action

---

[1] Ferdinand De Saussure, Cours de linguistique générale, Edition TALANTAKIT, Bejaia 2002, p. 23.

فعل»[1]. والتداولية في اللغة العربية مشتقة من (دول)، ولقد جاء في أساس البلاغة للزمخشري(ت.538ه) «دول: دالت له الدولة، ودالت الأيام بكذا، وأدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكرة لهم عليه [...] والله يداول الأيام بين الناس مرّة لهم ومرة عليهم»[2] وفي لسان العرب يقول ابن منظور(ت.711ه): « تداولنا الأمر: أخذناه بالدُّول وقالوا: دواليك أي مداولة على الأمر [...] ودالت الأيام أي دارت، والله يداولها بين الناس وتداولته الأيدي: أخذته هذه مرة وهذه مرة»[3]؛ ومن هذا المنطلق استعملت كلمة تداولية باشتقاقها من فعل تَداولَ لتعبر عما يتناقله الناس بينهم بهدف التواصل.

أما اصطلاحا فاعتبرها شارل موريس (Charles Morris)؛ الذي يعدّ أول من سلط الضوء عليها كالتالي:

« La pragmatique a été conçue comme cette discipline annexe qui s'interessait à ce que les usagers *font* avec leurs énoncés.» [4]

« اعتُبرت التداولية كذلك العلم الملحق الذي يهتم بما يفعله مستعملوا اللغة بألفاظهم»

أي تهتم بالجانب الاستعمالي للغة عن طريق « إدراك المعايير والمبادئ التي توجهه عند إنتاج الخطاب بما في ذلك استعمال مختلف الجوانب اللغوية بما فيها عناصر السياق بما يكفل له ضمان التوفيق من لدن المرسل إليه عند تأويل قصده، وتحقيق هدفه»[5] ومن خلال هذا التعريف يتبيّن أن التداولية هي دراسة الآليات التي تتحكم في تحديد معاني

---

[1] Dominique Maingueneau, Pragmatique pour le discours littéraire, Armand Colin, 2005 p. 4.

[2] الزمخشري، أساس البلاغة ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.، 1998، ج. 1، ص. 203.

[3] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط. 1، 1990، مج. 11 ، ص. 252.

[4] Dominique Maingueneau, Op. Cit., p. 4.

[5] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب –مقاربة لغوية تداولية– ، دار الكتاب الجديدة المتحدة بيروت، ط. 1، 2004، ص. 22.

الملفوظات ومقاصد المرسل ضمن سياقها الذي قيلت فيه. ويحدد يول مجال اهتمامها؛ فيقول:

« Pragmatics is concerned with the study of meaning as communicated by a speaker (or writer) and interpreted by a listener (or reader). It has, consequently, more to do with the analysis of what people mean by their utterances than what the words or phrases in those utterances might mean by themselves.»[1]

« تعنى التداولية بدراسة المعنى كما يوصله المتحدث (أو الكاتب) ويؤوله المستمع (أو القارئ)؛ وبالتالي فهي تختص بتحليل ما يعنيه الناس بألفاظهم أكثر مما تعنيه الكلمات وتراكيب هذه الألفاظ منفصلة؛ فالتداولية هي دراسة مقاصد المتكلم»؛ أي دراسة مقاصد مستعملي اللغة أثناء التواصل من خلال دراسة العلامات اللغوية في سياق، لا بشكل منعزل. كما تعرّف أيضا على أنها «علم الاستعمال اللساني ضمن السياق وتدفع أهمية هذا المفهوم ماكس بلاك إلى إعادة تسمية التداولية ففي نظره عليها أن تسمى السياقية»[2]؛ فالسياق هو العامل المحوري في تأويل مقاصد المتخاطبين، وكلما اختلف السياق نتج عنه اختلاف في المقاصد.

كما تعرف كذلك على « أنها مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها "الخطاب"، والبحث عن العوامل التي تجعل من "الخطاب" رسالة تواصلية "واضحة" و"ناجحة"، والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية»[3]. إذن

---

[1] George Yule, Pragmatics, Oxford University Press, New York, 1996, p. 3.

[2] فرانسواز أرمنكو، المقاربة التداولية، تر/ سعيد علوش، منشورات مركز الإنماء القومي، بيروت، ص.9.

[3] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب –دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي–، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط. 5، 2005، ص. 5.

فالتداولية فرع من فروع علم اللغة يهتم بالبحث في الكيفيات التي تكشف وتتقصى مقاصد المتحدث؛ فغالبا ما يكون المقصود أكثر مما تقوله الكلمات.

لم تفصل التداولية بين اللغة والكلام كما فعلت اللسانيات السوسيرية حين قام بإقصاء الكلام من دراساتها؛ فالتداولية علم يهتم بدراسة الظواهر اللغوية عند استعمالها بهدف دراسة التواصل اللغوي وتفسيره وتأويل المقاصد؛ ويقتضي هذا الأمر إدماج الأطراف الفاعلة في التواصل اللغوي الذي يتم ضمن سياق معين، كما اهتمت بالعناصر اللغوية والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالفعل الكلامي؛ فلم تقصِ الأشخاص المتكلمين ولا الكلام وأعطت السياق مكانة محورية، واعتبرت هذه الاهتمامات من صميم بحثها.

1-2- نشأة التداولية:

يعود فضل ميلاد اللسانيات التداولية إلى السيميائي شارلز موريس (Charle W.Morris) حين سلط الضوء على التداولية سنة 1938، في مقال بعنوان "أسس نظرية العلامات" "foundations of the theory of signs"، باعتبارها البعد الثالث لعلم العلامات بعد علم التراكيب والسيميائية.[1] وقام شارلز بيرس بالربط بين علم الدلالة والتداولية و« يعد سلفا للتداوليين الذين جاؤوا من بعده. ويعتبر بيرس الدلائلية علما يفضُلُ سائر العلوم لاستخدامه العلامات. وكشأن فتغنشتين*، يؤكد أن الفكر والعلامة غير منفصلين، فلا توجد علامة في حد ذاتها؛ ولكن كل شيء يمكن أن يتحول إلى علامة، بل إن الفكر بحد ذاته

---

[1] Voir : Katharina Reiss, Problématiques de la traduction, Economica, Paris, 2009, p. 87.

* فتغنشتاين (Ludwig Joseph Johannes Wittgenstein): أكبر فلاسفة القرن العشرين، أسس لكثير من البحوث في الألعاب اللغوية وفي فلسفة اللغة بصفة عامة؛ بل لقد أعطى دفعا كبيرا للتداولية ينظر: فتغنشتياين لودفيك، تحقيقات فلسفية، تر/ عبد الرزاق بنّور، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط. 1 2007، ص. 30.

علامة يمكن للآخر أن يؤولها»[1]، وبقيت التداولية لأعوام عديدة مجرد مصطلح على ورق لم يتناولها أي بحث بشكل فعلي؛ إلى أن برزت معالمها كما هي معروفة اليوم على يد فيلسوف اللغة جون أوستين (John Langshaw Austin 1911-1960) عند إلقائه لمحاضرات وليام جايمس عام 1955، و كان يرمي لتأسيس تخصص جديد في "فلسفة اللغة"؛ فانبثق عن هذه المحاضرات اختصاص لساني جديد تمثل في "اللسانيات التداولية".

تناول جون أوستين في كتابه "نظرية أفعال الكلام العامة" فكرة تداولية أفعال الكلام وميز بين الجمل بحكم الصدق والكذب؛ «فالتصديق والتكذيب هما علامتان مميزتان للحكم في القضية»[2]، وسماها الجمل الخبرية مستثنيا العبارات الإنشائية التي «لا يقصد بها قول شيء ما، بل يقصد بها إنجاز هذا الشيء وأنها بذلك لا توصف بالتصديق أو التكذيب».[3] كما قام تلميذه جون سيرل (John Rogers Searle 1932) بتطوير بعض الأبعاد من نظرية أوستين منها "المقاصد" أو ما سماه "بالقصدية"؛ إذ قام بتحديد القواعد التي تكشف مقاصد المتحدث والكيفيات التي يوصل بها هذه المقاصد إلى ذهن المتلقى.[4] ثم بدأ الدرس التداولي بالتطور والتبلور لتظهر مفاهيم جديدة على يد أمثال غرايس (Grice) وسبربر وويلسون (Sperber and Wilson) مثل الاستلزام الحواري، ومبدأ التعاون، ونظرية الملاءمة ... وغيرها ليتسع بذلك حقل البحث التداولي وتتعدد جوانبه.

---

[1] فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر/ صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية ط. 1، 2007، ص. 39.

[2] جون لانجشو أوستن، نظرية أفعال الكلام العامة –كيف ننجز الأفعال بالكلام–، تر/ عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1991، ص. 26.

[3] المرجع نفسه، ص. 29.

[4] ينظر : آن روبول و جاك موشلار، التداولية اليوم –علم جديد في التواصل–، تر/ سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط. 1، 2003، ص. 34.

لا بد من الإشارة إلى عدم الخلط بين التداولية والنفعية (Pragmatisme) التي قام وليام جايمس بتحديدها؛ حيث قصد بفكرة البراغماتية الجانب النفعي، وعرّف الطريقة البراغماتية للتفكير كالتالي:

« The pragmatic method is to try interpret each notion by tracing its respective practical consequences.»[1]

« الطريقة البراغماتية هي التي تسعى إلى تأويل كل مفهوم بتعقب نتيجته العملية» ففي نظره لا فائدة من الفكرة إن لم تتبلور بشكل واقعي ملموس؛ فالنفعية «نظرية فلسفية عامة للعقلانية الملاحظة بوصفها متصلة بالمصالح الأساسية للإنسان توصف عادة في أوربا بكونها فلسفة في العمل، تختزل الحقيقة في المنفعة (l'utilité) »[2].

2- قضايا البحث التداولي:

تهتم اللسانيات التداولية بمجموعة من القضايا المتعلقة بالكلام الناشئ في سياقه، الأمر الذي سأحاول توضيحه في هذا الجزء من الفصل.

2-1 الإشاريات

يقصد بالتعبير التأشيري كل صيغة تستعمل للقيام بالإشارة، ويعرفها جورج يول كالتالي:

« Deixis is a technical term for one of the most basic things we do with utterances. It means 'pointing' via language.»[3]

«الإشاريات مصطلح تقني يستعمل أثناء وصف أهم الأشياء التي نقوم بها أثناء التلفظ، ويعني التأشير خلال الكلام»، وتستعمل للإشارة إلى الأشخاص أو المكان أو الزمان، ولا تتضح دلالاتها إلا في سياقاتها الخطابية التي يشترك فيها المتخاطبين. وتنقسم إلى ثلاث

---

[1] William James, Essays in Pragmatism, Hafner publishing Co., New York, Ed. 14, 1966 p.142.

[2] فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص. 22.

[3] George Yule, Pragmatics, p. 9.

أنواع أولها الإشاريات الشخصية، ويقصد بها الضمائر، ولتحديد الإشاريات دورا محوريا في فهم العملية التواصلية:

« To learn these deictic expressions, we have to discover that each person in a conversation shifts from being 'I' to being 'you' constantly. »[1]

« لمعرفة هذه التعابير التأشيرية علينا أن نعلم أن كل شخص ينقل باستمرار من "أنا" إلى "أنت" أثناء المحادثة»، ويمكن أن تكشف لنا عن التباين الاجتماعي ومكانة الاجتماعية للمتخاطبين والعلاقة بينهما فمثلا تدل المبجلات على مكانة عليا لمن تحال إليه؛ فالضمير "أنتم" قد يدل على مجموعة من المخاطَبين كما قد يدل على شخص أعلى مرتبة.

أما الإشاريات المكانية فهي جزء فاعل في الخطاب إذ يستحيل الفصل بين المرسل ومكان التلفظ؛ بمعنى «لا ينفك المرسل عن المكان عند تلفظه بالخطاب، وهذا ما يعطي الإشاريات المكانية مشروعية إسهامها في الخطاب»[2] وهي عبارة عن صيغ لغوية يقوم المتلفظ من خلالها بتحديد مواقع الأشخاص والأشياء بشكل نسبي؛ فهي تشتمل على كل العناصر التي تدل على الأماكن، وبتحليلها يمكن معرفة الإطار المكاني للمتخاطبين؛ نحو أسماء الإشارة وظروف المكان والزمان؛ ونحو ذلك.

ثالثا، الإشاريات الزمانية، لا يكاد يخلو أي خطاب من الإشاريات الزمانية وهي عبارة عن صيغ و«كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان المتكلم فزمان المتكلم هو مركز الإشارة الزمانية في الكلام»[3]، ولا بد للسامع أو القارئ أن يعرف زمان التلفظ وإلا انتقصت حلقة من حلقات الخطاب؛ فلحظة التلفظ هي المنطلق الذي يحدد

---

[1] George Yule, Pragmatics, p. 10.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب –مقاربة لغوية تداولية–، ص. 84.

[3] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002 ص.19.

الصيغ التعبيرية للتأشير الزماني في بقية الخطاب.

2-2 الافتراض المسبق (Le présupposé)

أن نفترض أمرا معناه أن نعتبره قائما ونسلم به، ويعرفها جورج يول قائلا:

« الافتراض المسبق هو شيء يفترضه المتكلم قبل النطق بالكلام؛ أي إنه موجود لدى المتكلمين لا في الجمل»[1]، ففي إطار أي تواصل لساني ينطلق المتخاطبون من معطيات ومعلومات متفق عليها، وهذه المعطيات هي الافتراضات المسلم بها والكامنة في أذهانهم؛ إذ إنّ نجاح العملية التواصلية مرهون باستنتاجها، وتكون هذه الافتراضات مضمرة وتنتج بشكل تلقائي.

وللافتراض المسبق أهمية بالغة في التداول اللساني؛ يقول مانغينو:

« Si le langage est un instrument de communication, on peut s'étonner qu'il recoure aussi constamment à l'implicite. L'existence du présupposé est manifestement liée à des principes d'économie ; la communiaction serait impossiblesi l'on ne prépposait pas acquis un certain nombre d'informations, desquelles il est possible d'en introduire de nouvelles.»[2]

« إذا كان الكلام وسيلة تواصل، فلا عجب أن يتم اللجوء بشكل مستمر إلى المضمر فالافتراض المسبق متعلق بشمل واضح بمبادئ اقتصاد الكلام؛ فقد يستحيل التواصل إن لم نفترض مسبقا امتلاك قدر من المعلومات يمكن انطلاقا منها تشكيل معلومات أخرى».

فلنأخذ على سبيل المثال الملفوظات التالية:

أ- أغلق النافذة.

---

[1] George Yule, Pragmatics, p. 25.

[2] Dominique Maingueneau, Pragmatique pour le discours littéraire, p. 81.

ب- لا تغلق النافذة.

ت- تظاهر بالسعادة.

ففي كلا الملفوظين "أ" و "ب" خلفية افتراضية مضمونها أن النافذة مفتوحة وأنّ هناك ما يدعو لإغلاقها، إضافة إلى قدرة المخاطَب على فعل ذلك، كما أن هذين الملفوظين يشيران أيضا إلى المكانة التي يحتلها المتكلم والتي تخوله القدرة على إصدار هذا الأمر أما بالنسبة إلى الملفوظ "ت"؛ فبمجرد سماعه (أو قراءته) نستنتج افتراضا مفاده أنّ المتحدث ليس سعيدا.

2-3 الاستلزام (L'implicature)

يعد الاستلزام من أهم الأسس التي يقوم عليها البحث التداولي، وكان الفيلسوف الأمريكي غرايس (Paul Grice) أول من وضع الأسس لهذا المفهوم الذي ورد ضمن محاضراته التي ألقاها بجامعة هارفارد عام 1967 في إطار بحث له بعنوان" المنطق والحوار"، 'حيث قام باشتقاق كلمة implicature وهو مصطلح جديد من الفعل implicate، وخص به العملية الاستدلالية في التداوليات مميزا إياها عن مصطلح implication المعروف سلفا'،[1] معتبرا أن المتكلمين يقصدون أكثر مما يتلفظون وقد تكون مقاصدهم معاكسة تماما لألفاظهم؛ لذا قام أيضا بالتمييز بين ما يقوله المتلفظ وما يقصده وميّز بين نوعين منه: الحواري والعرفي.

2-3-1 الاستلزام الحواري (L'implicature conversationnelle)

ورد في مقالة غرايس المنطق والحوار" السابق ذكرها المثال التالي:[2]

---

[1] Voir: Paul H. Grice, Logic and Conversation, In: Syntax and Semantics, Peter Cole and Jerry L. Morgan eds., Academic Press, New York, 1975, Vol. 3, p. 45.

[2] Voir : Ibid., p. 43.

لنفترض أن الشخص "أ" يسأل الشخص "ب" عن صديقهم الشخص "ج"؛ قائلا:" كيف يبلي "ج" في عمله؟"، فيرد: "إنه يبلي بلاء حسنا، إذ إنه لم يرسل إلى السجن بعد" ولا يمكن تحديد قصد المتلفظ في قوله "لم يرسل إلى السجن بعد" إلا في إطار سياق الكلام وبمعرفتنا أي نوع من الأشخاص هو "ج"، وما هو متضمن في الجملة هو ركيزة موضوع البحث الذي قام به غرايس (الاستلزام الحواري) أو كما ترجم البعض "implicature" بـ "التضمين التحادثي"، ومنهم "قصي العتابي" مترجم كتاب "التداولية" لـ"جورج ليول".

ويعد الاستلزام الحواري من أبرز مميزات اللغة، ففي معظم الأحيان وأثناء التخاطب نلاحظ أن معنى الجمل، إن حللناها وفق السياق المرافق لها، يتعدى معناها الشكلي وصيغتها الصورية؛ فأثناء التلفظ يفترض المتلقي سلفا أن المرسل يريد أن يوصل شيئا ولا بد أن يكون هذا الشيء أكثر مما تعنيه الكلمات[1]، ويتعذّر تأويل الجمل إن اقتصر الأمر فقط على ما هو ظاهر، وبالتالي يتوجب إدراج تأويل آخر والكشف عن معنى آخر غير مصرح به أي "مستلزم حواريا".

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا؛ كيف يمكن للمتلقي أن يدرك أن الكلام يحمل أكثر مما يبدو عليه؟ وإجابة على هذا السؤال وتوضيحا لهذا اللبس أسس غرايس ما يسمى بمبدأ التعاون؛

« Implicature are primary exapmles of more being communicated than is said, but in order for therm to be interpreted, some basic cooperative principle must be assumed to be in operation. »[2]

فالاستلزامات «تمثل الأكثر الذي يتم إيصاله دون قوله، ولكن لكي يتم تأويله لا بد من افتراض مبدأ التعاون وإدراجه في العملية التأويلية».

[1] See : George Yule, Pragmatics, p. 35.
[2] Ibid., p. 36.

*** مبدأ التعاون (Le principe de coopération)**

ذكر غرايس في مقاله الموسوم بـ "المنطق والحوار" الذي ذكرته آنفا؛ أن تحصيل القصد في الاستلزام الحواري مرهون بمبدأ مسلم به مفاده أن المتخاطبين لهم القدرة على فهم بعضهم البعض؛ فأوجد بذلك ما سماه بمبدأ التعاون، ويقول في هذا الشأن:

« Make your conversational contribution such as is required, at the stage at which it occurs, by the accepted purpose or direction of the talk exchange in which you are engaged. One might label this the **Cooperative Principle**. »[1]

« لتكن مساهمتك في الحوار كما يتطلبه الأمر وفي مرحلة وروده وبما يتوافق مع الغرض المراد أو التوجه الذي سيسلكه الحوار الذي تخوضه، ويقوم هذا الأمر على أساس واحد هو مبدأ التعاون»، فلا يمكن للحوار أن يقوم إلا على هذا الأساس؛ أي وجود مبدإ يرتكز عليه المرسل للتعبير عن مقاصده، وأن يملك المتلقي تلك الكفاءة والقدرة على استيعاب تلك المقاصد.

وحسب غرايس؛ فإن هذا المبدأ يقوم على أربع مسلمات أو قواعد ثانوية (maximes):[2]

1. قاعدة الكم (Quantité): – لتكن إفادتك في الحوار على حسب الحاجة
   – لا تجعل إفادتك أكثر مما يجب.
2. قاعدة النوع (Qualité): – لا تقل ما تعتقده كذبا
   – لا تقل ما يفتقر إلى الدليل.
3. قاعدة العلاقة: (Pertinence/relation) – كن وثيق الصلة بالموضوع.
4. قاعدة الكيف (Manière): – كن واضحا.
   – تجنب الالتباس.
   – تجنب الإجمال.

[1] Paul H. Grice, Logic and Conversation, p. 45.
[2] Ibid., p. 47.

- تحدث بإيجاز.
- رتّب كلامك.

وفي نظر غرايس فإن احترام هذه القواعد كفيل بالتحكم في المحادثة و توجيهها نحو القصد المرجو أساسا من الكلام، ويتحمل المتخاطبون مسؤولية أخذ هذه القواعد بعين الاعتبار، واختراق هذه القواعد لا يؤثر في نجاح العملية التواصلية؛ بل ينقلها إلى مستوى الإضمار.

2-3-2 الاستلزام العرفي(L'implicature conventionnelle)

الاستلزام العرفي هو استلزام اصطلاحي يختلف عن التحادثي بعدم تقيده بمبادئ ثابتة فالاستلزامات العرفية لا تعتمد على مبدأ التعاونوهي ليست سياقية، أي لا تستند في تفسيرها على سياق خاص، ولكنها:

« Conventional implicature are associated with specific words and results in additional conveyed meaning when those words are used.»[1]

« ترتبط بكلمات معينة تؤدي إلى تكوين معان إضافية يتم إيصالها عند استخدام تلك الكلمات»؛ وهي معان غير معاني الجمل التي تم التلفظ بها، فمثلا من بين الكلمات التي تتضمن استلزامات عرفية حتى، بعدئذ، لكن، وغيرها، وعلى سبيل التوضيح: يستند تفسير أي ملفوظ يحتوي على كلمة **لكن** على إنشاء علاقة رابطة بين أكثر من عنصرين إضافة إلى استلزام التناقض بين هاته العناصر.

2-4 أفعال الكلام (Les actes de langage)

يعد أوستين مؤسس نظرية أفعال الكلام، منطلقا من مبدأ « أنّ الوحدة الدنيا للتواصل الإنساني ليست هي الجملة ولا أي تعبير آخر؛ بل هي إنجاز لبعض أنماط الأفعال»[2]

---

[1] George Yule, Pragmatics, p. 45.

[2] فرانسواز أرمنكو، المقاربة التداولية، ص. 60.

وعلى هذا الأساس فإن التواصل مرهون بإنجاز الأفعال، فالتعبير عن المقاصد لا يشتمل على إنشاء جمل مبنية نحويا إنما هو إنجاز لفعل ما من خلال هذه الجمل، ويؤكد أوستين هذا الأمر إذ يرى أن النطق بشيء ما يعني إحداث وإنجاز أمر ما؛[1] فالتركيب التالي: "اُخرج أنت مطرود" يفوق كونه جملة إنشائية، إلى كونه أداء قولي أنهى مهام الموظف بواسطة القوة الانجازية للفعل الكلامي التي صدرت من متكلم أعلى منزلة، وتسمى الأفعال المنجزة من خلال الألفاظ بـ "أفعال الكلام".

وقسم الأفعال إلى قسمين: أدائية (performatifs)؛ وهو القسم الأول من الأفعال التي أشار إليها أوستين. أما القسم الآخر من الأفعال فيتمثل في الإخبارية (constatifs) التي «تستعمل لتدل وتنبه على الظروف والملابسات التي وقع فيها حكم مضمون الجملة أو على الاحترازات التي روعي فيها ذلك الحكم أو على الكيفية التي اتخذ بها أو على شيء من هذا القبيل»[2]؛ فهي أفعال واصفة لملابسات القضية التي تعبر عنها الجمل.

كما تجدر الإشارة إلى أن التلفظ بالجملة وفق الاعتبارات السياقية لا يعني وصف حال القيام بالفعل، ولا إثباته؛ بل إن النطق بالجملة هو إنجاز لها؛[3] فعلى سبيل المثال تلفظ القاضي بجملة "رُفعت الجلسة" يعنى إنهاء جلسة الحكم من طرف المتلفظ؛ وهو إنجاز فعليّ وليس وصفا؛ لأن الجملة تعدت مستواها الصوتي إلى الإنجازي، وويقول مانغينو فيما يتعلق بالتقسيم الذي قام به أوستين:

« Mais progressivement, Austin va renoncer à cette distinction entre ‘énoncé constatif’ et ‘énoncé performatif’. Il lui apparait en effet impossible de trouver des énonciations dénuées de valeur performative.»[4]

---

[1] ينظر: جون لانجشو أوستن، نظرية أفعال الكلام العامة – كيف ننجز الأفعال بالكلام–، ص. 11.

[2] المرجع نفسه، ص. 14.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص. 17.

[4] Dominique Maingueneau, Pragmatique pour le discours littéraire, p. 6.

« سيقوم أوستين تدريجيا بالتـنازل عـن هذا التميـيز بين **لفظ إخباري** و**لفظ أدائي** إذ يبدو له أنه لا يمكن في الحقيقة إيجاد ملفوظات تخلو من القيمة الأدائية».

يمكن لأفعال الكلام أن تعبر عن الأمر والاعتذار والوعد والوعيد والطلب، وغيرها فهي أفعال يريد المرسل من خلالها إنجاز أغراض مختلفة، وبالتالي فإن أفعال الكلام تنشأ وفقا لقصد المتكلم في مقام معين:

« These descriptive terms for different kinds of speech acts apply to the speaker's communicative intention in producing an utterance. »[1]

«تستعمل هذه المصطلحات الوصفية لأنواع أفعال الكلام المختلفة حسب قصد المتكلم من إنشائه للفظ».

تشغل نظرية أفعال الكلام في البحث التداولي حيزا مهما؛ وتقول فرانسواز أرمنكو في هذا الصدد: «يمكننا القول بأن نظرية أفعال اللغة تعد دراسة نسقية للعلاقة بين العلامات ومؤوليها»[2]؛ فنظرية أفعال الكلام تدرس وتوضح وتفسر الفعل المنجز من طرف المتحدث أو الكاتب وفق مقاصده من خلال استعماله للعلامات اللغوية؛ ويؤكد مانغينو ذلك بقوله:

« La théorie des actes de langage affirme que tout énoncé recèle une dimension illocutoire.»[3]

« نظرية أفعال الكلام تؤكد على أن أي لفظ ينطوي على بعد إنجازي»، وهذا لب الدراسات التداولية التي تبحث في العلاقة بين اللغة ومستعمليها. و يقسم أوستين الأفعال الكلامية إلى ثلاثة أقسام:[4]

---

[1] George Yule, Pragmatics, p. 47.

[2] فرانسواز أرمنكو، المقاربة التداولية، ص. 61.

[3] Dominique Maingueneau, Pragmatique pour le discours littéraire, p.13.

[4] See : George Yule, Op. Cit., pp. 48-49.

1- الفعل اللفظي (Acte locutoire): وهو تعبير لغوي مصاغ على نحو جيد ويوحي بمعنى محدد.

2- الفعل الإنجازي (Acte illocutoire): وهو فعل يُنجز عبر قوة اللفظ، وهو فعل

من ورائه غاية ومقصد؛ فإن قال شخص: "لقد أعددت القليل من القهوة" قد يقصد بذلك عرضا للمتلقي بشرب القهوة أو غرضا تواصليا آخرا؛ وهذا ما يعرف بـ "القوة الإنجازية (force illocutoire).

3- الفعل التأثيري (Acte perlocutoire): وهو فعل يُراد به تأثر معين مثل الإقناع الحث والمنع، وغيرها، وإن وضعنا المثال السابق في سياق معين سيتوضح المقصود للمتلقي وتتجح عملية الفهم والإفهام بشكل أفضل؛ وهذا ما يسمى بـ "تأثير الفعل التأثيري" " Effet perlocutoire".

تصنيف أفعال الكلام الإنجازية

لقد تمت محاولات عديدة لتصنيف أفعال الكلام بدءا من أوستين الذي صنف الأفعال الإنجازية، وجاء بعده تلميذه جون سيرل الذي أعاد تصنيفها، وترى فرانسواز أرمنكو أن نظرية أفعال الكلام بمفهوم أوستين وسيرل تبقى محصورة نوعا ما؛ لأنها عولجت بشكل منعزل؛ فتقول: «الحوارات وحدات كبرى لمقاطع أفعال اللغة، إذ تتجاوز دراستها الإطار الكلاسيكي الذي حدده أوستين وسيرل»[1]. وسأكتفي بذكر التصنيف المستوحى من سيرل الذي ذكره حاتم و مايسون:[2]

[1] فرانسواز أرمنكو، المقاربة التداولية، ص. 61.

[2] See: Basil Hatim and Ian Mason, Discourse and the translator, p. 60.

1- الأفعال التمثيلية (Représentatifs): هي الأفعال التي تبين حال الأشياء.

2- الأفعال التعبيرية (Expressifs): تعبر عن الحالة النفسية والعاطفية تجاه حال.

3- الأفعال الحكمية (Verdictifs): هي الأفعال التي تقيّم وتحكم تصدر الأحكام.

4- الأوامر (Directifs): وهي أفعال غرضها التأثير على سلوك مستقبلي النص.

5- الالتزامات (Commissifs): أفعال تجعل المتكلم ينخرط في إنجاز فعل.

6- الإدلاءات/ الإعلانات (Déclarations): أفعال يؤدي التلفظ بها إلى وقوعها.

ثالثا: البعد التداولي في الترجمة

لقد تعرضت نظريات الترجمة التي نشأت في أحضان اللسانيات التقليدية للانتقاد كون اللسانيات نفسها كانت تعاني من مآخذ؛ فالدراسة اللسانية البحتة غير كفيلة لوحدها بتقصي المعاني والمقاصد التي يتضمنها النص بما أنها قد عزلت أثناء دراساتها أهم ركائز التواصل المتمثلة في أطراف التخاطب والسياق؛ التي تعد أساس إنجاح عملية التواصل وهذا ما استدركته التداولية وبنت عليه مفاهيمها، الأمر الذي يؤكده حاتم ومايسون:

« We believe that for translation theory, the most fruitful approach is that developped within pragmatics, which attempts to account for the ways in which we perceive underlying meaning on the basis of what we already know or assume to be the case.»

«نرى أنه بالنسبة لنظرية الترجمة، فإن المقاربة التي نشأت في أحضان التداولية مثمرة أكثر لأنها تسعى إلى الكشف عن المعاني الضمنية على أساس معارفنا السابقة أو ما نفترض معرفته» [1].

1 الأبعاد العلاماتية

لا يخفى على أي باحث تلك العلاقة الوثيقة التي تجمع اللسانيات والترجمة، ورغم

[1] Basil Hatim and Ian Mason, Discourse and the translator, p.12.

أن هذه الأخيرة قد أصبحت علما قائما بذاته ورغم التطور الذي شهدته إلا أنها مازالت تعتبر من العمليات اللغوية الأشد تعقيدا؛ فهي تقوم على أساس تأويل العلامات اللغوية واستيعاب المقاصد ونقل المعاني من اللغة الهدف. ولتأويل العلامات لا بد أن يستحضر المترجم كلّ ما يملك من معارف، ولا بد أن يعي الأبعاد الثلاث للعلامات التي تندرج ضمن السيميائيات العامة كما أشار إليها شارل موريس المتمثلة في البعد التراكيبي أو النحوي والبعد السيميائي والبعد التداولي. الأمر الذي ذكرته كاتارينا رايس بإشارتها إلى بعض المظاهر التداولية للترجمة.

1-1 البعد التراكيبي للعلامات:

بما أن الترجمة عملية لسانية بالدرجة الأولى تتم على مستوى اللغة، فإنّ علم التراكيب جزء لا يتجزأ من هذه العملية، ويُقصَد بتحليل العلامات من هذا المنظور كالتالي:

« Examiner les singnes linguistiques dans leur dimension syntaxique, c'est porter son regard sur sur les relations qui s'établissent entre les signes : c'est s'intéresser aux possibilités de combinaison et aux règles qui président à la formation des mots et à l'assemblage des mots en groupe de mots, en phrases et en textes.»[1]

«تحليل العلامات اللغوية في بعدهاالتراكيبي يعني تحديد العلاقات القائمة بينها بواسطة الاهتمام بإمكانيات التركيب، وبالقواعد التي تتحكم في تشكيل الكلمات وتركيبها في مجموعة كلمات وفي جمل وفي نصوص»؛ إذ يقتضي التحليل التراكيبي دراسة الجملة من جميع زواياها وضبط القواعد التي تحكم ترتيب الكلمات فبنية أيّ لغة تتطلب وظيفة تراكيبية تتحكم في موقعة الكلمات وترتيبها داخل التركيب الجملي أوالنصي وتحدد العلاقة بينها.

---

[1] Katharina Reiss, Problématiques de la traduction, p. 87.

انحصرت بعض نظريات الترجمة فيما مضى في حيز لغويّ مرتبط بالجانب القواعدي والتراكيبي فحسب، واعتبر بعض علماء الترجمة مثل جون كاتفورد وأندري فيردوف أن الترجمة عملية تُنجز على المستوى اللغوي الصرف؛ إذ اعتبروها استبدال قواعد وتراكيب لغة بقواعد وتراكيب لغة أخرى. والترجمة تحتاج لا محالة إلى الإلمام بالقواعد والتراكيب في اللغتين الأصل والهدف؛ فهي لا تستغني عن هذا الجانب باعتباره ضرورة كي يستطيع المترجم أن ينقل النص بما يتوافق مع قواعد النص الهدف، ويعد تحليل العلامات تراكيبيا أمرا غاية في البساطة مقارنة مع البعدين التاليين.

1-2- البعد السيميائي:

السيميائية هي العلم الذي يعنــى بدراسة العلامات، ويقصد بالتحليل السيميائي للعلامات اللغوية ما يلي:

« Examiner les singnes linguistiques dans leur dimension sémantique, c'est se pencher sur les relations de dénotation qui s'établissent entre ces signes linguistiques et l'objet du monde auquel ils renvoient (c'est-à-dire leur signification). »[1]

«تحليل العلامات اللغوية في بعدها السيميائي يعني التركيز على علاقة التعيين القائمة بين هذه العلامات اللغوية وما يقابلها في العالم الذي تُحال إليه أي مدلولاتها».

فالتحليل السيميائي للعلامات أمر معقد حاولت كاتارينا رايس توضيحه من خلال طرحها إشكاليتين: "تعدد المعاني" "la polysemie" و "التعدد الصرفي" "polymorphie"[2] فبالنسبة للأولى يمكن لعلامة لغوية واحدة أن تحال إلى أكثر من شئ ليمثلها في الواقع وبهذا تكون العلامع الواحدة قد شكلت سلسلة من العلاقات السيميائية و الإشكال الثاني

---

[1] Katharina Reiss, Problématiques de la traduction, p. 88.

[2] Voir : Ibid., pp. 88-89.

هو ظاهرة معاكسة للأولى والمقصود بها أن تُحال عدة علامات لغوية إلى شيء احد يمثلها في الواقع.

ولقد عدّ العديد من منظري الترجمة مثل نيدا وتابير (Nida and Taber) أن الترجمة قائمة بحد ذاتها على السيميائيات؛ من منطلق أن السيميائيات هي دراسة للمعنى فبالنسبة لنيدا فإن تحليل المعاني يعد العقبة الأكبر، ولقد لاحظ وقوع بعض المترجمين لا سيما المبتدئين منهم، في شَرَك تعقيدات وغموض اللغة الأصل؛ كتعدد المعاني والمعاني المجازية والمرادفات المتقاربـة.[1] وبهذا شغلت السيميائيات حيزا كبيرا في الترجمة لأن كلاهما ينشدان نفس الهدف المتمثل في تحديد الإطار الدقيق لمعنى العلامات.

من خلال ما سبق يتضح أنّ الخلل أثناء التواصل يطرأ عندما لا يربط المرسل والمتلقي العلامة اللغوية بنفس الواقع الملموس لها، فإن لم يُقم طرفا الخطاب نفس العلاقة السيميائية بين الدال والمدلول تعذّر التفاعل بينهما.

1-3 البعد التداولي للعلامات اللغوية:

تتصل العلامات اللغوية بشكل مباشر بالمتحدث أو الكاتب، ويعد من الخطأ عزلها عن السياق، ولقد أشار موريس بيرينيي إلى ذلك بقوله:

« L'un des défauts qu'on peut même reprocher à de nombreuses écoles linguistiques – qu'elles soient d'inspiration saussurienne, en Europe, ou bloomfeldiennes, en Amérique du Nord- a été de vouloir couper la langue de la parole, c'est-à-dire de la réalité vivante du langage. »[2]

« إنّ أحد النقائص التي تعاب على المدارس اللسانية سواء ذات الاتجاه السوسيري بأوروبا أو البلومفيلدي بأمريكا الشمالية هي فصل اللغة عن الكلام؛ أي عن الواقع الحيوي

[1] Voir: Basil Hatim and Jeremy Munday, Translation -An advanced resource book- Routledge, London & New York, 2004, p. 34.

[2] Maurice Pergnier, Théorie linguistique et théorie de la traduction, p. 257.

للسان»، ويعود سبب إبعاد دي سوسير وبلومفيلد الجانب الحيوي للسان الذي يمثله "الكلام" إلى ظنهم أنّ بهذا الفصل يتم التوصل إلى نتائج دقيقة عند دراسة الجزء الثابت عكس دراسة الكلام الجزء غير القار. لكن التداولية ركزت في دراستها على الجانب الاستعمالي (الكلام) في ارتباطه بالسياق للتوصل إلى نتائج أكثر دقة. وهنا يتحدد مفهوم التداولية على أنها دراسة العلاقات بين أطراف التواصل وعلاقاتها بالسياق.

أما بالنسبة لباحث الترجمة؛ فهو ملزم بإدراج الكلام إلى جانب اللغة في دراسته فالترجمة لا تشتمل فقط على استبدال العلامات اللغوية في اللغة المصدر بما يقابلها من علامات في اللغة الهدف؛ بل تتجاوز هذا الأمر كما توضحه كاتارينا رايس:

« Le traducteur a affaire à des signes linguistiques employés par un emetteur dans des situations concrètes : sa tâche est de chercher dans la langue-cible des signes linguistiques de meme valeur, et son effort est destiné à des récepteurs qui non seulement parlent une autre langue, mais aussi font partie d'une autre communauté cutlurelle. »[1]

« يتعامل المترجم مع علامات لغوية متصلة بمستعمليها وفي مواقف ملموسة؛ فمهمة المترجم تتمثل في البحث في اللغة الهدف عن علامات لغوية بنفس القيمة، وجهوده كلها موجهة إلى متلقين ليس لهم لغة مختلفة فحسب؛ إنما ينتمون إلى مجتمع ثقافي آخر».

وتكتسب العلامات اللغوية قيمتها التداولية إن ارتبطت بمستعمليها في ظروف معينة فهذه العلامات من منظور التداولية « تكمن قيمتها في تحريك ذهنية المستقبل لمعرفة مقاصد المتكلم في ضوء سياق مقاميّ محدد قائم على المحاورة بين اثنين مع مراعاة الافتراضات المسبقة بين الطرفين والعناصر الإشارية التي بثتها تلك العلامة»[2].

---

[1] Katharina Reiss, Problématiques de la traduction, p. 90.

[2] بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السباب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة لندن، ط.1، 2012، ص. 76.

وتلتقي الترجمة والتداولية في عدة مواضع ويتقاسمان عدة نقاط مشتركة وهذا أمر منطقي بما كلاهما ذو طبيعة سيميوتيقية كما يقول حاتم ومايسون:

« A translation should be primarily pragmatic because pragmatics and translation share common features. They are semiotic in nature, aiming at increasing understanding and facilitating communication.»[1]

« على الترجمة أن تكون في المقام الأول تداوليةً لأن التداولية والترجمة يتشاركان عدة ملامح؛ فكلاهما ذو طبيعة سيميوتيقية، يهدفان إلى تيسير الفهم وتسهيل التواصل» فكلاهما يقومان على مبدأ التواصل، وتعدّ التداولية البعد الثالث من أبعاد السيميوتيقا (علم العلامات) ولا شك أنّ الترجمة تركز على العلامات ودلالاتها في اللغات المختلفة محطّ الترجمة كما أن التداولية والترجمة تعالجان اللغة من جانبها الوظيفيّ؛ أي جانبها الاستعمالي.

2- التكافؤ التداولي في الترجمة:

من المشاكل العويصة التي تعترض طريق المترجم ذلك التباين التداولي بين النصين فقارئ النص المترجم ينتمى إلى مجتمع لساني وثقافي مختلف عن كاتب النص الأصلي بحكم أن العلاقة التداولية بين الكاتب أو المتلفظ متأثرة بالسياق بما فيه الجانب السيوسيو ثقافي؛ لذا فالمترجم ملزم أن يأخذ بعين الاعتبار هذا التباين التداولي، وأن يتجاوز النظرة المعقدة لذلك التباين؛ أثناء العملية الترجمية مع احترام قصد كاتب النص الأصلي.[2]

إن الهدف الذي دفع بالكاتب لإنتاج نصه يحتم عليه الاختيارات اللغوية التي تتماشى معه والتي تتوافق في نفس الوقت مع الخلفية الاجتماعية والثقافية والنفسية للمتلقي؛ بحيث:

---

[1] Bahaa-eddin Abulhassan Hassan, Literary translation - Aspects of Pragmatic meaning- Cambridge Scholars Publishing, U.K., 2011, p. 13.

[2] Voir : Katharina Reiss, Problématiques de la traduction, pp. 91-92.

« L'émetteur choisira ses signes linguistiques en tenant compte de la pragmatique du récepteur potentiel, c'est-à-dire en tenant compte de son pré-savoir, de sa mentalité, de ses attentes quant au respect des coventions et des habitudes de 'mise en texte' propre à sa communauté linguistique.»[1]

« يختار المرسل العلامات اللغوية مع الأخذ بعين الاعتبار تداولية المتلقي المحتمل بمعنى الأخذ بعين الاعتبار معرفته المسبقة، عقليته وتوقعاته فيما يتعلق باحترام قواعد واعتيادات "وضع النص" الخاصة بمجتمعه اللغوي والثقافي»، وعند الترجمة يحلّ المترجم محلّ الكاتب الأصل؛ فيقوم مقام المرسل فتنطبق عليه نفس القوانين، وبالتالي لا بد عليه أن يحافظ على ذلك القصد والتعبير عنه بما تمليه خصائص اللغة الهدف التي لا تقتصر على الجانب اللغوي فحسب؛ وإنما تتجاوز ذلك إلى الاهتمام بالملابسات الثقافية والنفسية للمتلقي.

إن التكافؤ هو الفيصل في مسألة نجاح الترجمة من عدمه؛ فتحقيق نفس الأثر لدى المتلقي للنص المترجم إلى اللغة الهدف كما تلقاه مستقبل النص الأصلي في اللغة المصدر هو الهدف المنشود للعملية الترجمية.

فالمترجم يقوم بتأدية دورين هامين؛ الأول يتمثل في التعرف على قصد الكاتب ليولّد استجابة له لدى القارئ، ثم نقلها بوسيط آخر إلى قارئ يختلف عن الذي تصوره الكاتب وهذا أمر مشابه للتكافؤ الديناميكي الذي اقترحه نيدا،[2] وإن تجاوز المترجم الفروقات التداولية بين نصي اللغة المصدر والهدف؛ فقد حقق تكافؤا على المستوى التداولي، ويبدو مما سبق أن:

---

[1] Katharina Reiss, Problématiques de la traduction, p. 92.

[2] Voir: Kirsten Malmkjaer, Cooperation and literary translation, In: Leo HICKEY ed., The Pragmatics of Translation, Multilingual Matters Ltd, Clevedon, 1998, p. 36.

« Translation approaches informed by pragmatics as the study of intended meaning are ideally suited for this dynamic view of equivalence.»[1]

« مقاربات الترجمة المستمدة من التداولية بصفتها دراسة للمعنى المقصود هي التي تلائم بشكل مثالي ديناميكية التكافؤ». كما أن الفروقات على المستوى التداولي بين اللغات تفرض على المترجم اختيارهذه الكلمة أو تلك، وكما يقول الدكتور محمد عناني: « الاختلافات التداولية أي الراجعة إلى تداول اللغة هي التي تملي على المترجم اللفظ الذي يختاره[2]».

لقـد حاولـت قـدر الإمكـان فـي هـذا الجـزء التطـرق لـبعض النظريـات اللســانية فـي الترجمـة بشـكل تسلسـلي فـي محاولـة لتوضـيح العلاقـة بينهمـا، محاولـة بهـذا ربـط النظريــة اللســانية التداوليــة بالعمليــة الترجميــة؛ إضــافة إلــى المــرور علــى أهــم المفــاهيم التداوليــة بإيجــاز؛ إذ إنّ التوجــه التــداولي يرمــي إلــى ربــط اللغــة بمســتعمليها بهــدف كشــف المقاصــد، والترجمــة تنشــد الحصــول علــى نــص يوافــق بــين الجــوهر والأســلوب عــن طريــق التأويــل الســليم لمقاصــد الكاتــب الأصــلي التــي تجلّــت صــورتها فــي بنــى تركيبيــة، وبالتــالي يمكــن للمقاربــة التداوليــة أن يكــون لهــا دور فاعــل فــي عمليــة الترجمــة بمعرفــة مواضـــع تجلّياتـــه المقاصـــد وعـــن طريـــق تطبيـــق آليـــات رصـــدها فـــي الـــنص الأدبي بهدف ترجمته بأمانة.

[1] Basil Hatim and Jeremy Munday, Translation- An Advanced Resource Book-, p. 49.

[2] محمد عناني ، النظرية الأدبية بين النظرية والتطبيق، ص. 18.

الفصل الثاني: تجليات القصدية في الترجمة الأدبية

- تجلي القصدية في النص الأدبي

- التحليل التداولي للمقاصد

تتكاتف مفاهيم التداولية السابقة الذكر بهدف توضيح المقاصد التي تتحقق بها عملية الفهم والإفهام؛ لذا تعد القصدية جوهر التداولية؛ العلم الذي يتقصى ويرصد مقاصد الكلام بالاعتماد على أهم ركائزه المتمثلة في السياق والاهتمام بالمتخاطبين وغير ذلك، بهدف إنجاح العملية التواصلية. ويعمل المترجم جاهدا للحفاظ على مقاصد النص الأصلي وتوضيحها عن طريق الربط بين الملفوظ والقصد استنادا على سياق التلفظ؛ فينجح تارة ويخفق تارة أخرى بسبب تباين الثقافات واختلاف التراكيب والأساليب التأثيرية في المتلقي من لغة إلى أخرى. وفي هذا الفصل سأحاول الإلمام بجوانب القصدية تداوليا وترجمةً.

أولا: تجلي القصدية في النص الأدبي

قبل الولوج إلى الحديث عن تجلي القصدية في النص الأدبي المترجم والكفاءات المعتمدة في ذلك؛ يستوقفني المقام للتطرق لمفهوم القصدية وأنواعها.

1- مفهوم القصدية:

القصدية لغةً: هي مصدر صناعي من قصد، والقصد لغةً يعني إصابة الهدف؛ يقول ابن منظور:« القصد استقامة الطريق (...) وإتيان الشيء»[1]، ويقول:« قال ابن جني: أصل (ق ص د) ومواقعها في كلام العرب الاعتزام والتوجه والنهوض نحو الشيء» [2]، وورد في معجم اللغة العربية المعاصر: «قصد الشيء: عناه (...) والقصدية صفة لمواقف نفسية موجهة، مكيفة وفق مستقبل قريب أو مباشر، وقيل هي تحضير فعل أو حالة ضميرية بقصد أو عن عمد»[3].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج. 3، ص. 353.

[2] المرجع نفسه، ص. 355.

[3] أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط. 1، 2008، مج. 3 ص. 1819-1820.

القصدية اصطلاحا:

أطلق مترجمَيْ كتاب تحليل الخطاب يول وبراون على التداولية مصطلح علم المقاصد وبرّرا اختيارهما لهذا المصطلح بقولهما: «الذي دعانا إلى اختيار هذا المصطلح – أي علم المقاصد– دون غيره هو أن مفهوم Pragmatics ينبني أساسا على "القصد" و"المقصدية" في بعدهما الاجتماعي، كما إذا أقررنا بمشروعية ترجمة Semantics بمصطلح علم الدلالة فيجوز قياسا أن نطلق على Pragmatics اصطلاح "علم المقاصد"»[1].

جاء في قاموس روتلدج:

« According to H.P.Grice and J.Searle a fundamental category of every theory of linguistic meaning; accordingly, linguistic exchanges are essentially acts determined by a definite communicative intention; they are successful to the degree that this intention is recognized.»[2]

« حسب غرايس و جون سيرل؛ فالقصدية حلقة أساسية لأي نظرية للمعنى اللغوي؛ ووفقا لذلك يعد التبادل اللساني عبارة عن أفعال يحددها قصد تواصليّ معين، ويرتبط نجاحه بدرجة تحديد هذا القصد»؛ فالفعل التواصلي هو حدث ناتج عن حالات ذهنية يريد الأشخاص من خلالها إنجاز أمر أو تمثيل شيء أو إحداث تأثير وللقصدية علاقة وطيدة بنشأة نظريات المعنى؛ فهي تشكل محورا هاما فيه؛ فالمقاصد تحدد اختيارات المتكلم أو الكاتب اللغوية وتكسبها معناها، «وما الخطاب اللغوي إلا علامة تنطوي عليها مقاصد المتكلم»[3].

---

[1] ج.ب. براون وجورج يول، تحليل الخطاب، تر/ محمد لطفي و منير التريكي، جامعة الملك سعود للنشر العلمي والمطابع، الرياض، 1997، ص. 32.

[2] Hadumod Bussmann, Routlege Dictionary of Language and Linguistics, Translated and edited by: Gregory P.Trauth and Kerstin Kazzazi, Taylor & Francis e-Library U.K., 2006, p.580.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب –مقاربة لغوية تداولية–، ص. 185.

ويعرفها جون سيرل:

« Intentionality is that property of many mental states and events by which they are directed at or about or of objects and states of affairs in the world.»[1]

« القصدية هي تلك الخاصية التي توجه الكثير من الحالات العقلية والأحداث إلى إنجاز الأشياء والتعبير عن الحالات في العالم».

فهي قدرة توجيه العقل نحو شيء ما والتعبير عنه وتمثيله، فالأحداث الواعية في عقل الانسان هي مقاصد تكون دائما متعلقة بشيء ما وتتمثل في شكل معين لتعبر عنه. أدرج سيرل القصدية في خضم الحديث عن أفعال الكلام والقوة الإنجازية للفعل وفي نظره:

« Only some, not all, mental states and events have Intentionality. Beliefs, fears, hopes, and desires are intentional; but there are forms of nervousness, elation, and undirected anxiety that are not Intentional.»[2]

«لا تكون كل الحالات العقلية والأحداث قصدية؛ فالاعتقاد والخوف والأمل والرغبة هي حالات قصدية، أما العصبية والابتهاج والقلق العشوائي ليست كذلك». فلا يمكن القول عن الحالة العقلية أنها ذات قصدية إلا إن كانت حول شيء ما، أو موجهة نحو شيء ما، أو تمثل شيئاً ما؛ فعلى سبيل المثال إن نازعتك رغبة فلا بد أنك تودّ فعل شيء أو الحصول على شيء أو ما إلى ذلك، أما القلق غير المبرر فلا قصد من ورائه؛ ففي نظره ليست كل الحالات الذهنية من ورائها قصد بالضرورة فقد تكون عرضية لا ترمى لأي قصد.

فالمقاصد هي تلك الحالات الذهنية والأفكار التي تدور في ذهن المتحدث أو الكاتب ومن المنطقي أن تكون هذه المقاصد هي التي تتحكم في الفعل الكلامي للإنسان وهي التي تحفز العملية التواصلية وتُكسِب الكلام معناه، وتعد اللغة وسيلة للتعبير عنها وبلورتها وتمثيلها؛ وفي هذا الشأن يحضرني تعريف ابن جني (ت.391هـ) للغة

[1] John Searle, Intentionality- An Essay in the Philosophy of Mind-, Cambridge university press, London, 1983, p.1.

[2] Ibid.

بأنها «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»[1]، فاللغة أداة التواصل بين الناس وبها يتم التعبير عن المقاصد ونقل الأفكار في شكل ملفوظات يحكمها نظام خاص بها فتترتب حسب ترتب المعاني في النفس، وعليه فاللغة وليدة القصدية؛ يقول سيرل:

« Language is derived from Intentionality and not conversely.»[2]

« تُشتَق اللغة من القصدية وليس العكس»؛ فبها يتحدد اختيار الألفاظ بما يتلاءم مع تمثيل المقاصد والتعبير عنها، وهي التي توجه المرسل أثناء الخطاب. وتجدر الإشارة إلى التبرير الذي قدمه جون سيرل لاستعماله مصطلح القصدية قائلا:

« Intending and intentions are just one form of Intentionality among others, they have no special status.»[3]

« إنّ القصد والمقاصد هما من أشكال القصدية ليس لهما أي وضع خاص» ؛ فهي مفهوم أعم وأشمل؛ على سبيل المثال فإن الرغبة قصدية بمعنى أنها تقوم أساسا على قصد معين يتمثل في أنّ الشخص يريد تحقيق رغبته في فعل شيء ما. وتُعد القصدية محور الدرس التداولي؛ فجميع مفاهيم التداولية تصب في قالب مقاصد الكلام، إذ تجاوزت بدراستها للغة أثناء الاستعمال المفاهيم اللغوية البنيوية والدلالية.

وقد ذكر آن روبول وجاك موشلار نوعين من المقاصد انطلاقا من التقسيم الذي قام به سبربر وويلسن:

أولا، المقصد الإخباري: « أي ما يقصد إليه القائل من حمل لمُخاطبِه على معرفة معلومة معينة»[4]، فأقوال المتكلم أو الكاتب تحمل في طياتها خبرا يراد به تبيان موقف أو إفادة المتلقي بأمر ما؛ وعليه فالقصد الإخباري يتعلق بمعاني الكلام، وينقسم المقصد الإخباري إلى قسمين؛ وهذا التقسيم مرده إلى كون الخطاب يتكون من مجموع أقوال

---

[1] ابن جني، الخصائص، تح. محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج. 1، ص. 33.

[2] John Searle, Op. Cit., p. 5.

[3] Ibid.,p. 3.

[4] آن روبول و جاك موشلار، التداولية اليوم –عالم جديد في التواصل–، ص. 79.

لا قول واحد:[1]

أ- **المقصد الموضعي:** وهو مقصد متصل بالقول، متعلق بجزء من الخطاب ويعبر عن مغزى هذا الجزء فحسب، وبمجرد تغير السياق يمكن أن يتغير المقصد فهي تتعلق بعبارة أو جزء من الكلام ولا تمثل المغزى العام من الخطاب الكلي.

ب- **المقصد الإجمالي:** وهو مقصد متصل بالخطاب، وهو أعمّ من سابقه لأنه يعبر عن الهدف الأساسي والكلي من الخطاب برمته وما يسعى الكاتب أو المتحدث إلى إفهامه أساسا للمتلقي.

تؤدي المقاصد الموضعية دورا تأويليا لما يلي من الخطاب؛ حيث إنه «استنادا إلى ما قاله لنا القائل (مقاصد موضعية) نصوغ فرضيات حول ما يريد أو يقوله ونتوقع (والتوقع قد يصح أو لا يصح) ما سيقوله لنا. وتحصل مثل هذه العمليات عندما نتم جملة شخص ما أو نستبق خطابه»[2].

ثانيا، المقصد التواصلي: «أي ما يقصد إليه القائل من حمل لمخاطَبِه على معرفة مقصده الإخباري»[3]، ويراد هنا الإفهام والتفاهم بين المخاطب والمتلقي، ويتمحور هذا النوع حول مفهوم التواصل بين طرفي الخطاب الذي يشترط فيهما الوعي والإدراك؛ فلا بد من توفر عنصر التفاعل بين المرسل والمتلقي لتثبيت جسر التواصل وتمكن المتلقي من استيعاب قصد الكاتب والاستجابة له، وبالتالي فهذا النوع من المقاصد هو قصد تأثيري.

2- القصدية والمعنى في الترجمة

لابد من إيضاح الخط الفاصل بين القصدية التي أرادها التداولـيون والمعنى؛ فالمعنى

---

[1] ينظر آن روبول و جاك موشلار، التداولية اليوم –عالم جديد في التواصل–، ص. 216.

[2] المرجع نفسه ، ص. 217.

[3] المرجع نفسه، ص. 79.

هو ما يُفهم شكليا من الكلام أو ما توحي به الصيغة الصورية للجمل، أما المقاصد فهي الأهداف التي يرجى تحقيقها من وراء التلفظ أو الكتابة، وتقول سيليسكوفيتش في هذا الخصوص:

« Lorsque vous parlez de Austin et des philosophe d'Oxford, il y a une distinction très nette à faire entre ce qu'on a appelé l'intentionnalité qui est le but d'un énoncé, et ce que j'appelle le sens de cet énoncé.»[1]

« عند الحديث عن أوستين وفلاسفة أوكسفورد، فهناك تمييز شديد الوضوح بين ما يسمى القصدية التي هي هدف الملفوظ وبين ما يسمّى معنى هذا الملفوظ»؛ فالمعنى يتعلق بالجمل المتلفَّظ بها، بينما القصدية تتعلق بالمتكلم أو الكاتب الذي يصدر عنه القول.

ومن المعروف أنّ الترجمة تكون على مستوى المعاني؛ فالمعنى محدد بوضوح ويعاد التعبير عنه بنفس درجة الوضوح في اللغة الهدف أما المقاصد فتظل متضمنة في محمل الكلام ويجب أن تراعى هي بدورها أثناء النقل. إذا تلفظ شخص ما –على سبيل المثال– بالجملة التالية: " Il y a un courant d'air "، ولنفترض أنّ المتكلم قد قصد بها في سياقها الذي وردت فيه أنه يتعين على المتلقي غلق النافذة؛ فالعبارة حملت معنى مقصودا يتضمن أمرا بغلق النافذة وهو الأمر الذي فهمه المتلقي.

ورغم تقصي هذا القصد واستنتاجه إلا أنه لا يجدر بالترجمة أن تشتمل القصد وتترك المعنى:

« Jamais le traducteur ne traduira *il y a un courant d'air* par *ferme la fenêtre*, car s'il faisait cela il se situerait dans l'intention de l'auteur et non dans le sens qu'exprime son dire ; l'intention n'est pas explicite et reste dans l'état d'hypothèse, le sens est clairement désigné.» [2]

«يستحيل على المترجم ترجمة " il y a un courant d'air " بـ "أغلق النافذة" ففي هذه الحالة قد يعمل المترجم على مستوى قصد الكاتب وليس على المعنى الذي يعبر عنه

[1] Danica Seleskovitch et Marianne Lederer., Interpréter pour traduire, Didier Edition Paris, 1984, p. 132.

[2] Ibid.

قوله فالقصد مضمر ويبقى في حالة فرضية في حين أن المعنى محدد بوضوح .» ويوضح أوغدن وريتشاردز هذا الأمر بقولهما أن « المعنى من حيث كونه ذلك الذي يقصد المتكلم أن يحيل عليه المستمع والمعنى من حيث كونه ذلك الذي يقصد المتكلم أن يحسّ به المستمع ويفعله وما إلى ذلك متمايزان بوضوح»[1].

ضرورة عدم الخلط بين المعنى والقصد لا ينفي الصلة الوثيقة بينهما؛ و«غني عن البيان أن الملفوظ أو القول الواحد يستعمل في سياقات مختلفة، فيدل على معان مختلفة فتكون هذه المعاني السياقية بالذات هي التي يقصدها اللافظ (أو المتكلم) ويعتبرها المستمع ولو لم تؤخذ في التعريف المعجمي لألفاظ هذا القول؛ يلزم من ذلك أن للملفوظ مدلولين اثنين: مدلول ثابت منقطع عن المتكلم ومدلول متغير متصل بالمتكلم»[2]؛ فالمعنى المتعلق بالمتكلم هو معنى متعلق بمقام التلفظ أي القصد، والمنفصل عليه هو مدلول معجمي.

يتمكن متلقي النص الأصل من إدراك قصد الكاتب، واستيعاب مكنونات الألفاظ :

« Even if the form of an utterance does not correspond to the intended function, the receiver recognizes the sender's intention. This is true because the sender and the receiver know each other. They share common background knowledge. In translation the writer and the TL reader rarely share common background knowledge. Therefore, the role of the translator is to mediate between the writer and the reader.»[3]

«حتى وإن لم يتوافق شكل الملفوظ مع الوظيفة المقصودة؛ فيمكن للمتلقي التعرف على قصد المرسل، وهذا صحيح لأنهما يعرفان بعضهما ويتشاركان نفس الخلفية المعرفية

---

[1] شارلز كي أوغدن و إيفان أرمسترونغ ريتشاردز، معنى المعنى – دراسة لأثر اللغة في الفكر ولعلم الرمزية–، تر/ كيان أحمد حازم يحيى، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ص. 307.

[2] طه عبد الرحمن، فقه الفلسفة –الفلسفة و الترجمة–، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط. 1، 1995 ص.160.

[3] Bahaa-eddin Abulhassan Hassan, Literary translation -Aspects of Pragmatic meaning- p. 14.

أما في الترجمة قلّما يتشارك الكاتب والقارئ في اللغة الهدف نفس الخلفية؛ لذا فإن دور المترجم أن يتوسط بين الكاتب والقارئ».

وفي الترجمة يكون تحديد المقاصد دائما في خدمة نقل المعنى، ولإدراك المعنى واستيعابه لا بد من إدراك مقاصد النص الأصلي التي وجهت الكاتب أو المتكلم أثناء إنتاجه للنص أو أثناء التلفظ؛ فالمقاصد تحدد الاختيارات التركيبية للجمل «فالقائل يختار أن يتلفظ بهذه الجملة أو تلك وفق مقاصده التواصلية، هذا أمر لا ريب فيه»[1].

لا يقتصر التحليل التداولي على الجمل التي تكوّن النص؛ أي البنية السطحية فإن جاء هذا التحليل للنص الأدبي ليشتمل على الخصائص التركيبية فقط، ودراسة الوحدات اللغوية فسينحصر في مجال اللسانيات بمعناها الضيق، بعيدا عن مجال التداولية التي تقوم أساسا على تحليل العلاقة بين اللغة ومستعمليها بهدف تحديد مقاصد الكلام الذي ورد في سياق معين. و يرى أحمد المتوكل أن الترجمة يجب أن تشتمل على البنية التحتية للنص لا البنية السطحية وذلك من مبدأ أن البنية التحتية محط التمثيل أو التصور الدلالي للألفاظ أي المعنى والقصد معا «فليس التمثيل للمعنى مقصورا على الدلالة بل يشتمل التداول أيضا، بتعبير آخر، يجب أن يمثل في البنية التحتية لا الفحوى فحسب بل كذلك للقصد»[2] فعلى المترجم أن يحرص على أن يلازم قصد النص الأصلي فحواه في النص المترجم أيضا.

ولقد تطرقت إلى توضيح العلاقة الوثيقة القائمة بين القصدية والمعنى لكونها ذات أهمية في العملية الترجمية للنص الأدبي؛ فانتاج النص كان استجابة لأهداف معينة:

---

[1] آن روبول و جاك موشلار، التداولية اليوم –عالم جديد في التواصل–، ص. 208.

[2] أحمد المتوكل، الخطاب الموسط –مقاربة وظيفية موحدة لتحليل النصوص والترجمة وتعليم اللغات – منشورات الاختلاف، الرباط، ط. 1، 2011، ص. 43.

« Producers of texts have their own communicative aims and select lexical items and grammatical arrangement to serve those aims.»[1]

«لدى منتج النص أهدافه التواصلية ويقوم باختيارات الأدوات المعجمية واتخاذ الترتيبات النحوية لخدمة هذه الأهداف»، وإن تمكن المترجم من تحديد المقاصد بناء على التحليل التداولي، سهل عليه اختيار الألفاظ والأقوال التي تخدم مقاصد النص الأصلي؛

« The translator must 'possess' the spirit of the original, 'make his own' the intent of the SL writer.»[2]

فعلى المترجم « أن يستحوذ على روح الأصل ويتلبس قصد كاتب النص الأصلي» وكما هو معلوم؛ فإن الترجمة مسألة اختيارية، ولكن لا بد للخيارات الترجمية؛ نحو: الحذف الإضافة، والإبدال وغيرها أن تكون ذات صلة بالمعنى المقصود.[3]

وكثيرا ما تمت الإشارة إلى هذا الأمر؛ فمثلا يرى بيتر نيومارك أنّه « يمكن لنصين وصف معركة أو عراك أو جدل مع تبيين الحقائق والأرقام نفسها، لكن نوع اللغة المستعملة وحتى البنى القواعدية (المبني للمجهول والأفعال المجردة مستعملة دائما للتخلص من المسؤولية) قد تكون في كل حالة دليلا على اختلاف وجهات النظر. ومراد النص يمثل موقف كاتب اللغة المصدر من الموضوع»[4]، كما أن هذا المراد أو القصد هو في مستوى مضمر أو بمثابة نص باطني و«لا يجدر بالمترجم الذهاب إلى وراء الكلمات الأصل وذلك بترقية النص الباطني إلى مرتبة النص»[5]، فالترجمة عملية تتم على مستوى المعاني في حين تبقى المقاصد هي التي تحكم المترجم أثناء النقل ومن مهامه إيصالها إلى القــارئ

[1] Basil Hatim and Ian Mason, Discourse and the Translator, p. 4.
[2] Ibid, p. 11.
[3] See: Ibid., p. 12.

[4] بيتر نيومارك، الجامع في الترجمة، تر. حسن غزالة، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط.1، 2006 ص. 13.

[5] المرجع نفسه، ص. 121.

في اللغة الهدف.

3- قصدية النص الأدبي:

يرى الجاحظ أن الأصل في الكلام هو القصد باعتبار « مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام؛ فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع»[1]؛ فلقد أدرك حق الإدراك أنّ نجاح أيّ عملية تواصلية مرهون بتحقق الفهم واستيعاب المتلقي قصد المرسل، وهذا الأمر هو مبدأ التواصل إذ لا كلام دون قصد ولا يُستثنى من الأمر النص الأدبي.

لا يخفى على أحد أن الأدب معنيّ بالتجربة الإنسانية، وأنّ الاطلاع عليه باختلاف مشاربه وأجناسه فيه غذاء لعقولنا وإغناء لثقافتنا ومعارفنا وملكتنا اللغوية، والترجمة الأدبية أهم جسور تحقيق عملية التواصل بين الحضارات والثقافات المختلفة؛ فتُتاح لنا فرصة معرفة الأوجه الحياتية والثقافية المختلفة، ويعمد الكاتب الأصلي أو المترجم من خلال نصّه الأدبي إلى بناء جسر يصله بالقارئ، ولا يمكن أنْ يُكلَّل هذا التواصل بالنجاح إنْ لم يعِ المتلقي مقاصده في اللغتين المصدر والهدف، فكاتب النص الأدبي يملك في ذهنه مقاصد يعبر عنها بنسيج من الألفاظ المحبوكة بأسلوب جمالي متفرّد ومختلف عن غيره من النصوص ويختار من الألفاظ ما يلائم مقاصده؛ فالقصدية في النص تعني «اتجاه منتج النص إلى أنْ تؤلف مجموعة الوقائع نصا متضاما متقارنا ذا نفع عملي في تحقيق مقاصده أي في نشر معرفة أو بلوغ هدف يتعين من خلال خطة ما»[2].

يتضمن النص الأدبي أفعال كلام إنجازية وتأثيرية والتي تعني إنجاز أمر ما أو إحداث

---

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، تح/ عبد السلام محمد هارون، مؤسسة الخانجي، القاهرة ، ط. 7، 1998، ج. 1 ص. 76.

[2] روبرت دي بوجراند و وولفغانغ دريسلر، مدخل إلى علم لغة النص، تر/ إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد دار الكاتب، لبنان، ط.1، 1992، ص. 30.

تأثير ما كالتصريح بشيء ما أو الوعد بالقيام بأمر ما ونحو ذلك. وكل فعل يتضمّن قصدا وتجسد هذه الأفعال الكلامية مشتركة مجمل أفكار الكاتب ومقاصده، وهذا الأمر يعني بالضرورة أن لكلّ نص أدبي قصدا.

تكمن في ذهن كاتب النص الأدبي مقاصد يريد بلوغها؛ ففي الرواية يختار الراوي من الشخصيات والأحداث والأسلوب وغير ذلك ما يلائم أغراضه؛ فللكاتب « السلطة الكاملة على نصه؛ فهو الذي يصوغ نصه الأدبي وينظمه بطريقة مخصوصة، وهو الذي أبدع تلك الصورة وأوجد ذلك الرمز ووظف ذلك التراث وأوجد تلك الشخصية في الرواية أو المسرح وصاغ ذلك الحوار وصور ذلك المكان ووصفه... ، وهو الذي يأخذ هذا المعنى ويقتبس معنًى آخر ويتناص مع نصوص أُخرى، وهو إنما يفعل ذلك بوعي تام وقصدية»[1]، ويتفرع عن هذه القصدية الإجمالية مقاصد موضعية فيصرح بها في بعض المواضع ويُضمرها في أخرى ليمنح القارئ لذة التأويل، وإذا كان النص خاضعا لسلطة الكاتب فإنّ القارئ خاضع لسلطة النص.

ولتجسيد المقاصد تتلون أساليب النص الأدبي بين الخبر والإنشاء؛ فتتولد تعابير مختلفة البنية، منها ما هو تصريحي ومنها ما هو ضمني ومضمر، والقصد هو الأساس لأي تواصل ؛ ولذلك فهو جزء لا يتجزأ من عملية النقل الأدبي من لغة إلى أخرى ويستوجب الأمر التحلّي ببعض الكفاءات لتحديدها.

4- كفاءات تحليل مقاصد النص

إنّ تحديد المقاصد من خلال قول ما يعني أنْ يطبّق القارئ جميع كفاءاته على العناصر اللغوية وغير اللغوية المدرجة في النص، فغالبا ما يكون القصد أكثر

[1] بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ص. 155.

مما توحيه البنى والتراكيب اللغوية السطحية؛ فيستلزم الأمر استحضار مختلف الكفاءات لفهم مقاصد الكلام.

وتقول كاترين أوركيوني في هذا الشأن: «وإننا نعجز عن فكّ ترميز المحتويات المضمرة ما لم نلجأ بالإضافة إلى المعلومات المتعلّقة بالنظام اللغوي المعني في إنشاء القول (أي الكفاءة الألسنية اللغوية)، إلى بعض المعلومات المتعلقة بما يلي: السياق الخارج عن الكلام (أي الكفاءة الموسوعية)، طريقة عمل القواعد التحادثية أو قوانين الخطاب (أي الكفاءة البلاغية التداولية التواصلية)، وأخيرا، بعض الآليات التي تميّز المنطق الطبيعي (أي الكفاءة المنطقية)» [1].

4-1 الكفاءة اللغوية:

تعنى الكفاءة اللغوية بالقدرة على تحليل العناصر السياقية النصية الدالة؛ أي المتعلقة بالسياق النصي، فهي تلك القدرة الذهنية المتكونة من مجمل المعارف اللغوية التي تمكن المتلقي من فك ترميز الأنساق المختلفة للغة؛ كالنسق الصوتي والدلالي والنحوي وغيرهم ففي المثال التالي:" **Quadrupède écume** ""الداب على الأربع الذي يرغي ويزبد"[2] المقصود بهذه العبارة لم يصرّح به بشكل مباشر؛ بل إنّ كفاءة المتلقي اللغوية التي يفك بها ترميز الجملة على المستوى الدلالي توضح له ما هو الشيء الذي يمشي على أربع **Quadrupède**؛ وهو يستشيط غضبا الأمر الذي دلت عليه كلمة **écume** ويقصد بهذه العبارة الأسد. وبهذا يكون للكفاءة اللغوية الفضل في التأويل.

[1] كاترين كيبرات أوركيوني، المُضمر، تر/ ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط. 1، 2008 ص. 24.

[2] مثال ذكرته كاترين كيبرات أوركيوني في كتابها: المُضمر. وذكرت أنّ لافونتان ذكر هذه الكناية في إحدى حكاياه على ألسنة الحيوانات والمعنونة بـ "الأسد والذبابة / Le lion et le moucheron"، ينظر: ص 197.

4-2 الكفاءة الموسوعية:

تتضمن الكفاءة الموسوعية معلومات عن العالم ومجمـوع المعـارف والمعتقدات المكتسبة، وهي ذاك الرصيد الذي يتم تحصيله عن طريق التفاعل الاجتماعي والثقافي، وتعد من أسس فهم مقاصد الخطاب وتتميز بأنها منظمة بطريقة ثابتة كوحدة متكاملة من المعارف النموذجية الراسخة في الذاكرة، ويشير حاتم ومايسون إلى مهمة المتلقي في حلقة التواصل بقولهما:

« The hearer/ speaker's task is to construct a model of the speaker/ writer's communicative intention, consistent with indications forthcoming from the text being processed and with what he or she knows about the world at large.»[1]

« تقتضي مهمة المستمع أو القارئ بناء نموذج للقصد التواصلي للمتحدث أو الكاتب حسب الإشارات القادمة من النص المعالج وحسب ما يعرفه حول العالم كله.»

وتعمل الكفاء الموسوعية على سد ثغرات الفهم التي لم تتمكن منها الكفاءة اللغوية كما أنّ « للكفاءة الموسوعية تأثيرها على مختلف الصّعد، فهي تدخل أصلا في عملية فك ترميز المحتويات البينة [...] ولكنها تتدخل على نحو جلي ومُكثف أكثر بكثير في عملية فك ترميز المحتويات المضمرة»[2].

ومن الأمور التي يرتكز عليها التواصل هي التسليم بأن الأطراف المتخاطبة لها رصيد معرفي يساعد على ذلك ولو بشكل نسبي؛ إذ يستحيل تحديد ما يعرفه المخاطب بشكل قاطع ولكن يمكن التخمين والافتراض بحكم الخلفية الاجتماعية والثقافية:

« We can never 'know' what our interlocutor 'knows' but we can and do assumptions about the cognitive environment we both share.»[3]

---

[1] Basil Hatim and Ian Mason, Discourse and the Translator, p. 92.

[2] كاترين كيبرات أوركيوني، المُضمر، ص. 287.

[3] Basil Hatim and Ian Mason, Op. Cit., p. 92.

«لا يمكن أبدا أن نعرف ما "يعرفه" مخاطبنا ولكن يمكن وضع افتراضات حول المحيط المعرفي الذي نتقاسمه»، وقد أشار جورج يول أيضا إلى هذا الأمر بقوله:

« Our ability to arrive automatically at interpretations of the unwritten and the unsaid must be based on pre-existing knowledge structures.»[1]

لا بد لقابليتنا في الوصول بشكل تلقائي إلى تأويل ما لم يُكتب وما لم يُقَل أن تكون مستندة على بنى معرفية موجودة مسبقا». ولكل شخص رصيد موسوعيّ خاص يختلف عن الآخر ويتنامى ويتغذّى من تجاربه اليومية؛ فالخطاب هو حدث كلامي يقوم فيها أطرافه باستثمار معارفهم المسبقة.

4-3 الكفاءة التداولية:

تنظر اللسانيات التداولية إلى اللغة على أنها نشاط وليست مجرد بنى نحوية، مرتبطة أشد الارتباط بمستعمليها الذين تشترط فيهم الكفاءة التداولية التي تسمح بإنجاح العملية التواصلية، ولكن قد يتعذر فهم المقاصد إن فصلنا اللغة عن مستعمليها؛ وبالتالي يكون من شأن الكفاءة التداولية أن تحدّد مقاصد الكلام انطلاقا من مبادئ التخاطب وتلك القدرة التي تخوّل المتلقي فهم وإنتاج فعلٍ تواصليٍّ حتى وإن كانت معاني البنى السطحية مغايرة أو معاكسة لما يُراد إيصاله للمتلقي.

تتعلق الكفاءة التداولية بشكل خاص بالقدرة على تحديد قوانين الخطاب؛ مثل مبدأ التعاون والقواعد المتفرعة، ومبدأ الملاءمة وغيرهما، وفهمها ومعرفة ما يلزم عند تجاوزها ويشير مانغينو إلى أهمية وطبيعة قوانين الخطاب بقوله:

« Ces ‘lois’ jouent un rôle considérable dans l’interprétation des énoncés et définissent une sorte de de compétence pragmatique (d’autres disent ‘une compétence rhétorique’). Il ne s’agit pas de lois comparables à celles qui régissent la grammaticalité des phrases, mais d’une sorte de code de bonne

---

[1] George Yule, Pragmatics, p. 85.

conduite des interlocuteurs, de normes que l'on est supposé respecter quand on joue le jeu de l'échange verbal. »[1]

« تلعب هذه القوانين دورا معتبرا في تأويل الملفوظات؛ وتشكل ما يسمى بالكفاءة التداولية ويسميها البعض كفاءة بلاغية، ولا يتعلق الأمر بقوانين كتلك التي تحكم نحو الجمل ولكنها عبارة عن قانون يحكم سلوك المتحاورين ومعايير يُفترض احترامها عند التبادل اللفظي»، ويتم فضلا عن هذا ربط الخطاب بالمقام التواصلي وتحديد العلاقة بين أطراف هذا المقام إضافة إلى المعرفة الثقافية واللغوية؛ وبالتالي فهذه الكفاءة هي التي تهيّء الشروط الفاعلة في إنجاح العملية التواصلية.

وقد ذكر جورج يول مثالا في هذا الشأن قائلا: "عندما عشت في بادئ الأمر في المملكة العربية السعودية كنت أجيب على سؤال "كيف حالك؟" المتعلق بصحتي بعبارة "أنا بخير"، ولكني لاحظت أني عندما أطرح نفس السؤال فيجيبني الناس بعبارة "الحمد لله"؛ فلا بدّ من إدراك الاستعمالات التداولية للألفاظ بالطريقة التي اعتاد استعمالها أفراد نفس المجتمع.[2]

4-5 الكفاءة المنطقية: الاستدلال (L'inférence)

لا توجد طريقة علمية دقيقة ومباشرة للوصول إلى المقاصد التي يرمي إليها الكاتب أو المتحدث؛ والتي يحاول المترجم نقلها، ولكن يمكن اعتماد عملية استدلالية للوصول إلى فهم المراد من القول وإنجاح التواصل. ويعرَّف الاستدلال بأنه تلك العملية التي يعتمد عليها محلل الخطاب للوصول إلى المعنى المقصود من الكلام بعد استقراء منطلقات معينة.[3]

[1] Dominique Maingueneau, Pragmatique pour le discours littéraire, p. 101.

[2] Voir : George Yule, Pragmatics, p. 5.

[3] Voir: George Yule and Gillian Brown, Discourse analysis, Cambridge University Press, London, 1983, p. 33.

لقد سبق العرب غيرَهم إلى هذه النقطة؛ فقد كانت ظاهرة الاستدلال عن مقاصد الكلام في مدرسة عبد القاهر الجرجاني سائدة آنذاك، إذ استعمل اللغويون المنطق والاستدلال في تحليل النصوص بعيدا عن تلك الأحكام العشوائية الانطباعية الخاضعة للأهواء والآراء الشخصية.

يقول الجرجاني (ت.471) في قضية تحليل الكناية: « وإذا نظرت إليها وجدت حقيقتها ومحصول أمرها أنها إثبات لمعنى، أنت تعرف ذلك المعنى من طريق المعقول دون طريق اللفظ ألا ترى أنك لما نظرت إلى قولهم: هو كثير رماد القدر، وعرفت منه أنهم أرادوا أنه كثير القرى والضيافة»[1]، فالقصد من القول لم يتضح إلا بالاعتماد على المنطق والتفكير الملي للاستدلال على المعنى المراد.

ويضيف الجرجاني موضحا ذلك بقوله: « لم تَعرفْ ذلك من اللفظ ولكنك عرفته بأن رجعت إلى نفسك فقلت: "إنه كلام قد جاء عنهم في المدح ولا معنى للمدح بكثرة الرماد". فليس إلا أنهم أرادوا أن يدلوا بكثرة الرماد على أنه تنتصب له القدور الكثيرة ويطبخ فيها للقرى والضيافة، وذلك لأنه إذا كثر الطبخ في القدور كثر إحراق الحطب تحتها وإذا كثر إحراق الحطب كثر الرماد لا محالة»[2]، وعليه فيتم تقصي المقصد واستدلال المغزى الأصلي للاستلزام عن طريق الاستدلال بربط عناصر الجملة ربطا منطقيا بدءا من معلومة معطاة وصولا إلى نتيجة تلزَم عنها بالضرورة، وتُقْصي هذه العملية أيَّ تسلسل غير منطقي للعناصر؛ لأنها تنبني أساسا على الترابط المنطقي بينها فكل حلقة تفضي للتي تليها كما يوضحه المثال الذي ذكره الجرجاني.

إذن؛ فالاستــدلال هو نسج علاقات تلقائيــة وواقعية أي حقيقية وممكنــة ومنطقيـــة

---

[1] الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تح/ محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص. 431.

[2] المرجع نفسه، ص. 431.

بين عناصر التركيب بشكل تدريجي، ويقوم هذا المبدأ على نسج علاقات تلقائية تؤدي إحداها إلى الأخرى بدءا من المقدمات الواضحة المصرح بها وصولا إلى نتيجة ضمنية أو العكس، وقد يستعمل إما للكشف عن الحلقات المفقودة من المعطيات الظاهرة أو لسد فراغات الفهم بغية الوصول إلى القصد، لكن يتوجب معرفة مواضع الاستدلال والقضايا التي تقتضي ذلك.

ثانيا: التحليل التداولي للمقاصد

إنّ المقاصد هي لب التواصل بين المرسل والمتلقي، ولا يقدّر النجاح لأي عملية تواصلية إلا إنْ استوعب المتلقي ما يعتزمه المرسل من وراء خطابه، والوقوف على معاني النص وتحديد مقاصده لا ينبني على التخمينات والظنون العشوائية؛ بل على جملة من المرتكزات التي تجعل المقاصد واضحة والمتمثلة في الإلمام بملابسات السياق اللغوية وغير اللغوية، والعناصر المرتبطة به التي تساعد على تحديد المغزى والمقصد من الكلام وتجدر الإشارة إلى أنّ السياق هو مكون أساسي من مكونات البحث التداولي:

« Any analytic approach in linguistics which involves contextual considerations necessarily belongs to that area of language study called pragmatics.» [1]

« فأيّ مقاربة لسانية تتضمن اعتبارات سياقية، تنتمي بالضرورة إلى ذلك المجال من الدراسات اللغوية الذي يسمى التداولية»، إضافة إلى الكفاءات التي يتوجب توفرها لتحديد المقاصد؛ السابق ذكرها.

1- السياق:

يعد السياق جزءا متأصّلا في عملية التحليل اللغوي التداولي من جهة وفي العملية الترجمية من جهة أخرى؛ فلا يمكن تقصي القصد من الكلام معزولا عن سياقه الذي ورد

---

[1] George Yule and Gillian Brown, Discourse analysis, p. 26.

فيه؛ وبالتالي لا يمكن أن تنجح عملية التواصل بين المرسل والمتلقي إلا في إطار ملابسات التخاطب سواء كان شفويا أو كتابيا.

1-1 تعريفه وأهميته:

السياق هو مجموع الظروف والملابسات التي تتحكم في إنتاج النص أو الكلام ويُقصد به «الوضعية الملموسة التي توضع وتنطق من خلالها مقاصد تخص المكان والزمان، وهوية المتكلمين ... إلخ، وكل ما نحن بحاجة إليه من أجل فهم وتقويم ما يقال»[1] ويبدو جليا من هذا التعريف الأهمية البالغة للسياق في تحديد المقاصد فإن تم عزل الجمل عن سياقها أحاط بها اللبس والإبهام.

ويقول جون لاينز في هذا الصدد إنّ « معنى الوحدة الكلامية يتجاوز ما يقال فعلا إذ إنه يتضمن ما هو مقصود ضمنا (أو ما يفترض مسبقا) وللسياق صلة وثيقة بهذا الجزء من معنى الوحدات الكلامية»[2]؛ فالسياق يحدد معنى الجملة بتحديد الجملة المعنية ثم يحدد القضية التي تم التعبير عنها، وفي الأخير يكشف الغطاء عن الجزء اللاكلامي الذي عبر عن هذه القضية.[3] وانطلاقا من هذه العناصر – الجملة ومعناها والجزء اللاكلامي– يمكن تحري القصد الذي يهدف إليه النص الأدبي.

ويرى ويلسون وسبربر أن السياق هو الكلّ الجامع لما يمكن أن يسهم في عملية التأويل وبالتالي أعطيا تعريفا أكثر شمولية وأكثر تفصيلا؛ ففي نظرهما فإن السياق ليس محدودا في المعطيات الظاهرة فحسب:

---

[1] فرانسواز أرمنكو، المقاربة التداولية، ص. 9.

[2] جون لاينز، اللغة المعنى والسياق، تر/ عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط.1 1987، ص. 222.

[3] ينظر: جون لاينز، اللغة المعنى والسياق ، ص. 222.

« Expectations about the future, scientific hypotheses or religious beliefs anecdotal memories, general cultural assumptions, beliefs about the mental state of the speaker, may all play a role in interpretation.»[1]

« إذ يمكن لكل من التوقعات حول المستقبل والفرضيات العلمية أو المعتقدات الدينية والذكريات الطريفة إضافة إلى افتراضات الثقافة العامة وأيضا التخمينات حول الحالة العقلية للمتكلم؛ أن تسهم في التأويل» ، فهو لا يقتصر على المعلومات الآنية التي تنتج أثناء التلفظ كالزمان والمكان، بل تسهم في بنائه عده عوامل.

1-2 أنواع السياق:

يصنف هيرمن باريت (Herman Parret) السياق إلى خمسة أنواع؛ معتبرا أنّ تصنيفه هو تصنيف لأنواع التداولية:

أ- السياق النصي: ويراد به البنى التركيبية للنص، حيث إنّ فهم المفردات لا يتم بمجرد الرجوع إلى المعاجم فحسب؛ فإن لم يتم تحديدها ضمن سياقها النصي فلا يكون التأويل سليما، وكنتيجة حتمية فإن فهم النص لا يتم بتحليل المفردات أو الجمل منعزلة إنما بربطها لتشكل نصا متسقا ومنسجما يتجاوز حدود الجملة. ' فلقد تم تجاوز حدود الجملة في التحليل إلى وحدات أكبر من ذلك كتحليل أجزاء من الخطاب في المحادثات، و النماذج الحجاجية ، ويجب أيضا النظر إلى انسجام النص واتساقه بناء على الخلفية الاجتماعية' [2].

ب- السياق الوجودي: لقد تم تصنيف هذا النوع من السياق على أساس:

« The referential context contains canonically the item to which a linguistic expression refers? A shift from semantics to pragmatics is made once the speaker and the understander (receiver) and their spatio-temporal location are

---

[1] Dan Sperber and Deirdre Wilson, Relevance -communication and cognition-, Blackwell, Oxford, 2nd Ed., 1995, pp. 15-16

[2] Voir: Herman Parret, Semiotics and pragmatics – An evaluative comparison of conceptual frameworks-, John Benjamins Publishing, Amesterdam, 1983, p. 94.

considered to be indices of existential context.»[1]

«أنّ التتابعات اللغوية أو السيميائية تكتسب معانيها من خلال علاقتها بمراجعها [...] والتي تُحال إليها التعبيرات اللغوية، ويتم الانتقال من الدلالة إلى التداولية عندما يتم إدراك أنّ المرسل والمتلقي والإطار الزماني والمكاني هي مؤشرات لهذا السياق الوجودي»، وهو سياق مرجعي بطبعه إذ يتم ربط الملفوظات بالأشياء التي تمثلها في الواقع وهو جانب ذو طبيعة سيميائية، ثم ترتبط جميع عناصر الحدث التواصلي من أطراف الخطاب والزمان والمكان وغيرهم ليتم الانتقال من السيميائية إلى التداولية.

ج- سياق الموقف أو سياق الحال: ويعني هذا اتخاذ المقام الذي ورد فيه الكلام سياقا تواصليا، وهو متعلق بالوسط الذي وقع فيه الفعل الكلامي، ويشير هيرمان إلى أهميته قائلا:

« The situational context offers factors partially determining their meaning.»[2]

« يوفر سياق المقام بعض العوامل أو المحددات التي تساهم جزئيا في تحديد معاني التعبيرات اللغوية»، وكلما كان وصف المقام في النص المكتوب وافيا كان تحديد المقاصد أسهل؛ فمثلا سؤال الطالب للأستاذ في الجامعة يكون للاستفادة وإزالة الغموض عن أمر ما أما سؤال الأستاذ للطالب فالقصد وراءه الاختبار والتقييم؛ فتمييز قصد الطالب من وراء سؤاله عن قصد الأستاذ كان متاحا وممكنا لتوفر معطيات مهمة؛ الأولى متعلقة بمعلومات مسبقة حول المتخاطبين والثانية متعلقة بالإطار المكاني.

د- سياق الفعل: إن الأفعال اللغوية هي أفعال ذات مقصدية، ينجزها المرسل قصد بلوغ هدف يتمثل في إبلاغ وإفهام المتلقي، بالإضافة إلى شرط التفاعل؛ والمقصود به:

« The condition that linguistic actions of others speakers participating in a communicative situation are the context of production of one's own discourse»[3]

---

[1] Parret Herman, Semiotics and pragmatics –An evaluative comparison of conceptual frameworks-, p. 95.

[2] Ibid., p. 96.

[3] Ibid., p. 97.

« بمعنى أنّ الأفعال اللغوية للأطراف المشاركة في عملية التواصل هي السياق الدافع لإنتاج الخطاب». وهنا نحن بصدد الحديث عن نظرية أفعال الكلام التي أسسها أوستين فأفعال الكلام هي ذات قصدية والتلفظ بها هو بالضرورة إنجاز لها، وهي خاضعة لظروف الحدث التواصلي.

هـ- السياق النفسي: وهو الحالة الذهنية التي أدت إلى إنتاج الفعل، وهي عبارة عن تراكمات وانعكاسات لمواقف وتجارب سابقة تؤثر بطريقة أو بأخرى في الحدث التواصلي. وتهتم التداولية بتفسير مقاصد ورغبات التي تعتبرها مسؤولة عن برمجة الفعل والتفاعل[1]، وذلك لأنها الشحنة الذي دفعت لإنتاج اللغة من جهة وساهمت في فهمها من جهة أخرى.

تتجاذب النصّ عدة علاقات داخلية وخارجية؛ وهي التي تشكّل في مجملها "السياق"، ولا يمكن فصل السياق اللغوي عما هو غير لغوي؛ فهما متكاملان وكل عنصر من عناصر السياق التخاطبي يساهم في جلاء معنى النص وإبراز مقاصده، وهذا هو مناط اهتمام التداولية التي تسعى إلى تحليل عناصر السياق الفاعلة في العملية التواصلية بهدف البحث عما يراد بهذا اللفظ أو ذاك.

1-3 عناصر السياق:

تكمن صعوبة تحليل السياق في إطار التداولية في أنه يراعي جميع العناصر المتعلقة بالخطاب داخلية كانت أو خارجية، وسأحاول أن أمر بها بشيء من التفصيل نظرا لأهميتها في تحديد المقاصد.

أ- المرسل: هو العنصر الذي يقوم بعملية إنتاج الكلام؛ فهو «العنصر المحوري في إنتاج

[1] Parret Herman, Semiotics and pragmatics –An evaluative comparison of conceptual frameworks-, pp. 97 -98.

الخطاب من أجل تحقيق غرض معين، ويبني خطابه بناء على استراتيجية تبدأ بمرحلة تحليل السياق ذهنيا واختيار العلامات اللغوية المناسبة»[1]، ولا بدّ أثناء التحليل التداولي للخطاب من تحديد مجموع المعطيات والظروف النفسية التي دفعت به إلى التلفظ أو الكتابة،

« In order to do pragmatics of discourse, we have to go beyond the primarily social concerns of interaction and conversation analysis, look behind the forms and structures present in the text, and pay more attention to psychological concepts such as background knowledge, beliefs, and expectations. In the pragmatics of discourse we inevitably explore what the speaker or writer has in mind. »[2]

«تتطلب تداولية الخطاب النظر وراء الأشكال والبنى المتجلية في النص والانتباه أكثر للمفهوم النفسي كالخلفية المعرفية والمعتقدات والتطلعات إذ نقوم في تداولية الخطاب بشكل إجباري على الكشف عما يدور في خلد المتكلم أو الكاتب»؛

بمعنى أنّ تداولية الخطاب لها منحى واضح يتمثل في الكشف عن مقاصد المرسل، وهذا ما يعطيه المكانة المحورية التي يحتلها في هذا المجال ويمنحه شرعيّة إسهامه الكبير في عملية التواصل ومسؤولية إنجاحها. ويتمكن محلل النص أثناء التركيز على المرسل في حدث كلامي معين من توقع ما يمكن أن يقوله بناء على ما يعرفه حوله – أي المرسل– الأمر الذي يزيد من احتمال معرفة مقاصده، ويشير يول و براون إلى أهمية هذا العنصر:

« Knowledge of the addressor in a given communicative event makes it possible for the analyst to imagine what that particular person is likely to say. Knowledge of his addressee constrains the analyst's expectations even further.»[3]

« معرفة المرسل في خضم حدث تواصلي ما تمكّن محلّل الخطاب من تصور ما يحتمل أن يقول مثل ذلك الشخص، وتتحدد توقعات المحلل بشكل دقيق أكثر بمعرفته للمتلقي»،

[1] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب –مقاربة لغوية تداولية–، ص. 45.

[2] George Yule, Pragmatics, p. 84.

[3] George Yule and Gillian Brown, Discourse analysis, p. .38

وهنا تتجلّى أهمية معرفة طرفي الخطاب في تحليله هذا إضافة إلى أن اللغة المستعملة متعلقة بطبيعة العلاقة التي تربط بينهما.

ب- المتلقي: الذي يعد طرف الخطاب الثاني وإليه تتجه لغة الخطاب التي تعبر عن مقاصد المرسل، وتكمن وظيفته في تفكيك وتأويل شفرات الخطاب الذي يتلقاه، وله دور محوري في توجيه المرسل عند اختيار أدواته وصياغة خطابه؛ فالبنى اللغوية التي يعتمدها المخاطِب يتم اختيارها بما يتوافق مع المخاطَب، مع الأخذ بالاعتبار مكانته وسنه وغير ذلك؛ فالمرسل إليه « حاضر في ذهن المرسل عند إنتاج الخطاب، سواء أكان حضورا عينيا أم استحضارا ذهنيا، وهذا الشخوص أو الاستحضار للمرسل إليه، هو ما يسهم في حركية الخطاب؛ بل يسهم في قدرة المرسل التنويعية ويمنحه أفقا لممارسة اختيار استراتيجية خطابه » [1].

ومن عناصر السياق كل ما هو مشترك بين المرسل والمتلقي؛ ويتم اكتساب هذه المعرفة المشتركة عن طريق التجربة التي تولّدت في نفس الوسط الثقافي والإجتماعي فبدونها لا يمكن لهما أن يحيطا علما بموضوع الكلام ولا يكلّل التفاعل بينهما بالنجاح.

ج- الإطار الزماني والمكاني: كلما زادت معرفة المحلل للسياق بملابساته زادت إمكانية التنبؤ الدقيق للمقاصد، ومن الأمور التي يمكن أن تحدث فرقا في تأويل الملفوظات معرفة زمن ومكان التلفظ بها؛ فإن توفرت معلومات حول أي السياق الزماني والمكاني للحدثفستسهم إلى حد كبير في حصر التوقعات ستكون أكثر دقة وتحديدا؛ وهذا ما يوضحه المثال الآتي:

-Tu peux jeter un œil à mon ordinateur ?

- J’ai une réunion à midi.

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب -مقاربة لغوية تداولية-، ص. 47.

رغم أنّ الجملتين واضحتان وصحيحتان على المستوى التركيبي والدلالي، إلّا أنهما مبهمتان على المستوى التداولي؛ إذ لا يمكن أن نفهم ما يقصده المتحدث الثاني بجملته ولا نعلم إن كان قد أجاب بالنفي أو القبول، إلاّ إنْ توفرت معلومات سياقية أخرى نحو الزمن والمكان.

كما يمكن لعناصر أخرى غير لغوية أن تكون جزءا من السياق؛ إذ يمكن لتقاسيم الوجه أو نبرة الكلام أن توحي بشيء مغاير لما يُقال، فمثلا إن "حضر طالب متأخرا إلى المحاضرة" فيخاطبه الأستاذ بصوت مرتفع مشيرا إلى الباب "يا مرحبا!"؛ فإن هذا لا يعنى أن الأستاذ قد سمح له بالدخول إنما عنى بذلك طرده من محاضرته، وقد تمكن المتكلم من التعبير عن قصده بإشارته إلى الباب رغم أن البنية السطحية للعبارة تشير إلى عكس ذلك؛ ويقول يول وبراون:

« If then you have information about the setting, both in terms of where the event is situated in place and time, and in terms of the physical relations of the interactants with respect to posture and gesture and facial expression, your expectations will be still further limited. »[1]

«إن توفرت معلومات حول كل من السياق الزماني والمكاني، وأيضا الوضع الجسمي للأطراف المشاركة؛ من حيث هيئة الجسم وطبيعة الحركة وتقاسيم الوجه، فإنها تزيد من دقة التنبؤ حول مقاصد الكلام»، ويعد هذا العنصر مهما في النصوص الأدبية لا سيما الروائية والمسرحية؛ خاصة وأن الوصف مقوم من مقوماتها ويشتمل على كل التفاصيل المتعلقة بالشخصيات والأحداث.

1-4 الترجمة والسياق:

إن الترجمة عملية بالغة التعقيد؛ كونها تستلزم أساسا فهم النص الأصلي وفك مغاليقه

[1] George Yule and Gillian Brown, Discourse analysis, p. 38.

ثم إعادة التعبير عنه في اللغة الهدف، إلا أنّ مرحلة الفهم ليست بالسهولة التي تبدو عليها إن لم يمتلك المترجم جملة من المعارف؛ كتلك المتعلقة بالثقافة أو المجتمع الذي ورد فيه النص. ولقد أصبح السياق لا سيما السوسيوثقافي أحد الإشكاليات التي تطرحها الترجمة وجانبا من الجوانب التي تهتم بها؛ كون النصوص هي نتاج فكر وثقافة معينة، فما يلبث القارئ أن يلمس معالم تلك الثقافة في النص، وتتمثل مهمة الترجمة في نقل هذه النصوص بعد تحديد معناها استنادا على تلك الخلفية الثقافية،

« Malinowsky believed the cultural context to be crucial in the interpretation of the message, taking in a variety of factors ranging from the ritualistic (which assumes great importance in traditional societies) to the most practical aspects of day-to-day existence.» [1]

« ويرى مالينوفسكي (Malinowsky) أنّ السياق الثقافي يعد أمرا حاسما في عملية تحليل الرسالة؛ أخذا بعين الاعتبار عدة عوامل بدءا من تلك المتعلقة بالطقوس التي تعتبر مهمة لدى المجتمعات التقليدية إلى المظاهر العملية المتعلقة بالحياة اليومية .»

كما يرى بيتر نيومارك أنّ الترجمة هي ترجمة الكلمات؛ ولكن لا يعني هذا ترجمتها بشكل منعزل بل هو أمر مرهون بالسياق؛ « إننا نترجم كلمات، لأنه ليس هنالك شيء آخر نترجمه [...] ولا نترجم كلمات منفردة بل كلمات ملتصقة بدرجة، كبيرة أو صغيرة، بسياقاتها النحوية والتلازمية والوصفية والثقافية واللهجة الشخصية» [2]، إذ يمكن أن يشتمل السياق على المتلازمات اللفظية؛ مثل قولنا: "un froid de canard" شتاء قارص أو يمتد ليشتمل على الجملة إن تعلق الأمر بحكمة أو مثل أو نحوهما. أما السياق الثقافي فهو تحليل للكلمات حسب خلفيتها الثقافية التي أوجدها مجتمع لغوي معين؛ مثل كلمة كوفية

---

[1] Basil Hatim and Ian Mason, Discourse and the Translator, p. 37

[2] بيتر نيومارك، الجامع في الترجمة، ص. 113.

أو حايك وهما من الألبسة عند العرب. أما السياق الشخصي فيعني تلك البصمة الخاصة بالكاتب وتتمثل في لهجته أو طريقته التي تميزه عن سواه.

2- القصدية وترجمة المضمر:

إن المضمر أو متضمنات القول هي ما يُراد به من البنية الصورية للأقوال والجمل غير معناها السطحي الذي تدلّ عليه، أو بعبارة أخرى هي مقاصد متضمنة في تراكيب قد تكون عكس أو غير ما يوحي عليه معناها، وتعدّ الصور البيانية نوعا من أنواع المضمر « وقد أشار إليه كانتيليان[1] أوّلا، بقوله: إن طريقة الإلماح قوامها (...) أن نوحي بغير ما نقول صراحة، ليس بالضرورة عكس ما نقول على غرار التهكم، بل معنى آخر مستتر وعلى المستمع أن يكشف النقاب عنه إذا جاز التعبير»[2]؛ كما وضح سيرل ذلك المفهوم بقوله: « قد يقصد المتكلم معنى مغايرا عن معنى الجملة التي يتفوه بها كما هي الحال مع الاستعارة، أو قد يودّ قول عكس ما تنطوي عليه الجملة من معنى على غرار التهكم أو قد يود أن يفيد بمعنى الجملة مضافا إليه معنى آخر كما في العلاقات التضمينية التحادثية وأفعال الكلام غير المباشرة» [3].

2-1 الركيزة اللغوية أساسا للكشف عن المضمر:

ينقسم محتوى الكلام إلى نمطين؛ الأول مباشر يتم ترسيخه بمكونات معجمية ونحوية وتكفي الكفاءة اللغوية وحدها لفهمه، والثاني غير مباشر لا يمكن للبنى التركيبية لوحدها أن توحي به فيستلزم الأمر توفر كفاءات أخرى إلى جانب الكفاءة اللغوية. ومن منظور

---

[1] كانتيليان (QUINTILIEN): عالم بلاغة روماني أشير له في العصور الوسطى و عصر النهضة بكونه أحد البلغاء في الأدب الروماني.

[2] كاترين كيبرات أوركيوني، المُضمر، ص.171.

[3] المرجع نفسه، ص. ن.

سيميائي فإن لكل دال مدلول، وفي غياب الدال في حالة المُضمر كيف تتشكل هذه المدلولات؟ هذا ما تجيب عليه التداولية.

إنّ التركيبة اللغوية هي الأساس والمنطلق لكل ملفوظ، وتسهم كفاءة المتلقي بشكل حاسم في تحديد المقاصد ولا يمكن لأيّ محتوى كلامي أن ينسلخ عن ركيزته اللغوية فتعتبر أوركيوني أنّ « أيّ وحدة من وحدات المحتوى التي يمكن فك ترميزها تملك بالضرورة ركيزة لغوية أيّا تكن، ولا تشذُّ المحتويات المضمرة عن هذه القاعدة؛ إذ قد تكون هذه المحتويات بأفضل الأحوال، وهي كذلك، حصيلة حساب تركيبي ما من شأنه أن يُطبق بعض المعطيات الخارجية القولية على بعض المعلومات الضمقولية»[1]؛ ومفاد هذا القول أن المضمر يُستدَل عليه بناء على المعطيات اللغوية وغير اللغوية، وقولها أنّ المضمر حصيلة حساب تركيبي يفضي إلى نتيجة واحدة وهي أنّ الاستدلال على ما هو موارىً يتم انطلاقا من التركيبة التي أمامنا وإسنادها إلى معطيات سياقية خارجية؛ كما يوضحه المثال الآتي:[2]

1. Pierre a cessé de fumer.
2. Pierre actuellement ne fume pas.
3. Pierre fumait auparavant.
4. Ce n’est pas comme toi qui continues à fumer, tu vois bien qu’on peut y arriver, prends-en de la graine.

1. أقلع بيار عن التدخين.
2. بيار لا يدخن حاليا.
3. كان بيار يدخن سابقا.

[1] كاترين كيبرات أوركيوني، المُضمر، ص. 29.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص. 21-22.

4. فهو ليس مثلك الذي مازلت تدخن، مع أن الإقلاع عنه، كما ترى، أمر ممكن، فاتخذ من الأمر أمثولة ودرسا.

إنّ المحتوى المضمر المعبر عنه في الملفوظ (4) هو أحد الافتراضات التي يمكن أن يُستدل عليها عند سماع أو قراءة الملفوظ (1)؛ إذ تم الانطلاق من ركيزة لغوية دالّة تشتمل على مجمل اللوازم المعجمية والنحوية، وتشكل هذه الركيزة محتوى بيِّنا، ليتم فك تشفير المضمرات استنادا على الكفاءة التداولية للمتلقي؛ التي تأخذ بالاعتبار في المقام الأول ظروف وملابسات إنشاء الملفوظ.

لا يتم فك ترميز المحتويات المضمرة دون تدخل الكفاءة اللغوية؛ فالبنية اللغوية هي ركيزتها ولا يمكن الولوج إلى الأولى دون تحديد الثانية، فهذه الكفاءة تُعنى «بالعناصر الدالة النصية والسياقية الحالية النصية»[1]؛ أي العناصر المتعلقة بالسياق النصي وهي تسمح باستخراج معلومات ضمنية انطلاقا من البنية التركيبية.

يندرج ضمن قسم المحتويات المضمرة الافتراض المسبق والاستلزام بنوعيه؛ الحواري والعرفي وغيرهما ولقد تمت الإشارة إلى ضرورة الحفاظ على تأثير اللفظ في القول التالي:

« Preserving what is implied will increase the effectiveness of the TLT. If a maxim is flouted in the SLT (...) The most important is the equivalence of effect, which is achieved by preserving the intention of the writer and the function of the utterance, not the form of the utterance. »[2]

« يزيد الحفاظ على ما هو مضمر من فعالية النص في اللغة الهدف (...) و ما يهم هو التكافؤ في تأثير اللفظ والذي يمكن تحقيقه بالحفاظ على قصد الكاتب ووظيفة اللفظ، لا

---

[1] أوركيوني كاترين كيبرات، المُضمر، ص. 283.

[2] Bahaa-eddin Abulhassan Hassan, Literary translation -Aspects of Pragmatics meaning- p. 19.

شكله»؛ وهنا يستوجب على المترجم اكتساب تلك المهارة والكفاءة التداولية التي تسمح بالتحكم في كيفيات رصد المقاصد واختيار التقنية الملائمة لتجاوز الفرق التداولي بين اللغتين، والذي يسمح بتحقيق التكافؤ بين الأصل والهدف.

2-2 ترجمة الافتراضات المسبقة:

تتشكل الافتراضات في الذهن بشكل تلقائي لأنها متعلقة أكثر بالعقل والمنطق وتُستنتج بمجرد التلفظ بالجملة أو قراءتها، وترى أوركيوني أنّ « الافتراضات من حيث المبدأ منعدمة السياق بخلاف المضمنات (أي الاستلزامات) التي تندرج في إطار حسي إلا أن هذا المبدأ يمنى على ما يبدو بالفشل في بعض الحالات»[1]. ومن وجهة نظر تداولية يرى ديكرو وأوسولد:

« Le choix d'un énoncé comportant tel ou tel présupposé introduit une certaine modification dans les rapports entre les interlocuteurs. Présupposer serait alors un acte de parole ayant une valeur illocutoire au même titre que promettre, ordonner, interroger. »[2]

« إن اختيار لفظ يتضمن هذا الافتراض المسبق أو ذاك، يغيّر العلاقات بين المتخاطبين، وعليه يكون للافتراض قيمة إنجازية؛ مثل الوعد والأمر والاستفهام» فللافتراضات المسبقة أهمية في الفعل الكلامي، ورغم أنها محتويات مضمرة إلا أنها تنجز بمجرد استنتاجها. ويبدو جليا أنّ لهذه الافتراضات دور فاعل وأساسي في عملية التواصل «فأساس كل تواصل مسلّمات أو لوازم افتراضات موجهة لا يمكن إن عُدِمَت أن يتطور نظام للرموز ولا علم ولا منطق»[3].

---

[1] كاترين كيبرات أوركيوني، المُضمر، ص. 49.

[2] Oswald Ducrot et Tzvetan Todorov, Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, Ed. du Seuil, Paris, 1972, p.p. 347-348.

[3] شارلز كي أوغدن و إيفان أرمسترونغ ريتشاردز، معنى المعنى – دراسة لأثر اللغة في الفكر ولعلم الرمزية–، ص. 175.

إنّ للافتراضات المسبقة خاصية مميزة وفاصلة لها عن الاستلزامات وهي الاطّراد عند النفي؛ أي أنها تبقى ثابتة:

« The presupposition of a statement will remain constant even when that statement is negated.»[1]

« إنّ الافتراض المسبق لمقولة ما يبقى ثابتا (أي صحيحا) حتى عند نفيها»؛ بمعنى أنّ الافتراضات المسبقة المتضمنة في الجملة المثبتة تبقى مترسخة فيها حتى وإن نُفِيَت نحو:

1. يعلم الجميع أنّ هذا الرجل انتهازي.
2. **لا** يعلم الجميع أنّ هذا الرجل انتهازي.

إنّ نفي الجملة الأولى لم يغير الافتراض؛ بل بقي نفسه؛ إذ يمكن في كلا الحالتين أن يستنتج القارئ أو السامع تلقائيا ودون جهد أنّ "هذا الرجل انتهازيّ"، لكن ما يهمنا فعلا هو: هل تغير البنية عند الترجمة يغير من الافتراضات؟ لا سيما وأنه تم التأكيد سابقا أنّ لأيّ مُضمَر مهما كان نوعه ركيزة لغوية.

يمكن استنتاج الافتراضات المسبقة إن تواجدت بعض الكلمات الدالة عليها نحو: "محمد غائب أيضا"؛ فكلمة "أيضا" هي التي أوجدت بشكل آلي الافتراض الذي يفيد أنّ شخصا آخر غائب:

« L’adverbe *aussi* (avec sa version à polarité négative *non plus*) en constitue l’élément le plus utilisé et le plus représentatif […] Il est relativement facile de faire apparaître la dimension présuppositionnelle de *aussi*. »[2]

وتعد « كلمة أيضا (إضافة إلى عكسها non plus) من مسببات الافتراضات المسبقة الإضافية وأكثرها استعمالا وتمثيلا [...] ومن السهل بشكل نسبي إظهار البعد الافتراضي

---

[1] George Yule, Pragmatics, p. 26.

[2] Pascal Asmili et Grégoire Winterstein, Les déclencheurs de présupposition additifs, Revue Langage, 2012, n° 186, https://www.cairn.info/revue-langages-2012-2-page-85.htm

المسبق له »، كما أنّ استنتاج هذه الافتراضات في الترجمة يعني أنه تمّ نقل الكلمات الدالّة عليها بشكل سليم في اللغة الهدف.

إنّ لما يتشاركه الكاتب والقارئ له من خلفية معرفية دور كبير في استنتاج الافتراضات المسبقة التي من المفترض أن تكون تلقائية وتتشكل في ذهن الكتلقى بمجرد التلفظ:

« Presuppositions depend on shared knowledge between the writer and the reader. In translation it almost happens that the writer and the TL reader does not share this sort of knowledge. »[1]

« تعتمد على المعرفة المشتركة بين الكاتب والقارئ، وفي الترجمة يحدث ألا يتشارك كاتب النص الأصلي مع القارئ في اللغة الهدف هذا النوع من المعرفة»، ومن شأن هذا الأمر أن يحول دون قيام تواصل سليم بين كاتب النص الأصلي والقارئ الهدف، ولأجل التقليل من حجم الهوة بين النص والقارئ الهدف والتقريب بينهما يقوم المترجم بتكييف الترجم بما يلائم المتلقي.

2-3 ترجمة الاستلزام:

يشترط التواصل بين مؤلف النص والقارئ توفر بعض المبادئ؛ ليتمكن المؤلف من بلوغ مسعاه وإيصال رسالته التي كتب النص من أجلها أساسا، ويعد « التواصل غير العادي أو التفاعل النشيط والفعال في حالة النص الأدبي بين المؤلف ومجموعة من القراء المحتملين؛ هو نتيجة لوجود رسالة شخصية من المؤلف إليهم، ومن أجل أن يكون ذلك التواصل ناجحا؛ ينبغي أن يتبع قواعد أو مبادئ معينة أهمها مبدأ التعاون ومبدأ الاستلزام[...] »[2].

[1] Bahaa-eddin Abulhassan Hassan, Literary translation- Aspects of Pragmatic meanings-, p. 18.

[2] بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ص. 149.

ذكرت في الفصل السابق أنّ الاستلزام هو ما يفهم ضمنا ولا يصرح به، والكثير من المعلومات تنتقل بين المتخاطبين ضمنا؛ لذا يعد الاستلزام من أهم الجوانب في التواصل البشري؛ فإن قلنا مثلا إنّ "هذا الشخص يقاسم جاره الفقير قوت يومه"؛ فمن الواضح أنه لم يتم التصريح بأن هذا الشخص عطوف وكريم إلا أنّ هذا القصد يُفهم ضمنا.

بما أنّ الاستلزامات تنطوي على مقاصد لم يصرح بها المرسل؛ فإنّ من بين التساؤلات التي يطرحها المترجم، حسب يول وبراون، التساؤل التالي:

« For the translator, the question remains: are TL receivers as able to infer unexpressed content as SL receivers would be? »[1]

« هل يمكن لمتلقي اللغة الهدف استنتاج المحتوى غير المصرح به مثلما فعل متلقي اللغة المصدر؟» وماذا إن تم اختراق قاعدة أو أكثر من قواعد التخاطب في اللغة الأصل، فهل يؤثر هذا على الحفاظ على المقاصد المتضمنة عند نقلها إلى اللغة الهدف؟

يقول جاك موشلار:

« Les implicatures ne sont pas des contenus explicites, elles sont le résultat d'une inférence, mais sont non véríconditionnelles, n'impliquent pas l'engagement du locuteur (elles sont annulables) et sont contextuelles, donc pragmatiques. »[2]

«إنّ "الاستلزامات" هي محتويات غير ظاهرة ناتجة عن الاستدلال وهي غير مشروطة بشروط الحقيقة، لا توجب إقحام المتلفظ (يمكن إلغاؤها) لكنها سياقية وبالتالي تداولية»، ويمكن الاستدلال على الاستلزامات الحوارية بناءً على قواعد التخاطب كما في المثال الآتي:

---

[1] Basil Hatim and Ian Mason, Discourse and the Translator, p. 63.

[2] Jacques Moeschler, Présupposition et implicature: où passe la frontière ? https://sites.google.com/site/moeschlerjacques/publications/articles-2010-2016, p. 19 .

أ- هل تشرب القهوة؟

ب- أريد النوم باكرا هذه الليلة.

أ- حسنا.

لقد فهم المتحدث (أ) أنّ المخاطَب (ب) رفض عرضه بتناول القهوة رغم أنّه لم يصرّح بذلك علنا، ومن المستنتَج من المثال؛ فإنّ خرق قاعدة من قواعد الاستلزام الحواري (الملاءمة) لم يخلّ بالعلمية التواصلية، ولكن السياق كان محددا رئيسيا للقصد وكان المعنى المقصود مستلزما أي متضمنا.

2 -4 مبدأ التعاون والفعل الترجمي

لقد أسس غرايس مبدأ التعاون من أجل ضبط ظاهرة الاستلزام ورصد المقاصد غير المصرح بها، فالإجراءات المتخذة في هذا الشأن في الترجمة لا تقتصر على الجانب التركيبي فحسب بل تأخذ بعين الاعتبار القارئ في اللغة الهدف بالإضافة إلى تكييف السياق كي يتحقق التعاون ويُفهم المُتضمَّن:

« For example, punctuation and other orthographic measures can be adjusted by editors/translators to suit a given readership, distanced either temporally or culturally or both from the writer; and such adjustment can be understood as a compensatory strategy explainable in terms of the principle of cooperation.»[1]

« فعلى سبيل المثال، فيمكن لعلامات الوقفأو مقاييس معجمية أخرى يمكن أن تعدَّل من طرف المحرر/ المترجم لتلائم القارئ المحتمل وتُبعد زمنيا أو ثقافيا أو كلاهما عن الكاتب؛ ويمكن لمثل هذا التعديل أن يعتبر استراتيجية تعويضية تُبرَّر ضمن مبدأ التعاون »، ويمكن لهذه التعديلات التي يقوم بها المترجم أن توفّر للقارئ في اللغة الهدف مجموع الإشارات اللازمة لتقصي المقاصد الضمنية.

---

[1] Kirsten Malmkjaer, Cooperation and literary translation, p. 37.

لرصد المقاصد في النص الأدبي والكشف عما هو مكنون من منطلق تداولي؛ يقوم المترجم أثناء تحليله للنص قبل عملية الترجمة بالاستدلال بالمبادئ والقواعد التخاطبية فمن جهة يرى البعض أنّ التحليل باستعمال بعضها « كمبدأ الكمية ومبدأ النوعية أو الصدق، ومبدأ الترابط؛ تبقى غامضة وخاصة باللغة العادية، وربما لا تنطبق على النص الأدبي ولا سيما الشعري »[1]؛ لأن البيان والبديع والإسهاب في الوصف يغزو النصوص الأدبية؛ فتغدو بعض هذه المبادئ غير مجدية في التحليل، ولكن فيما يتعلق بالنص الروائي؛ لا سيما الواقعي؛ فتكون هذه الآليات مجدية إلى حد كبير بما أنّ النص الروائي الواقعي أقرب ما يكون إلى اللغة العادية، وحتى أن عدم احترام هذه المبادئ من طرف الكاتب قد يكون متعمدا في بعض الأحيان ولغايات مقصودة كالهزل أو السخرية كما جاء في المثال الآتي:

Le policer lui dit :

- Une amende?
- Je préfère les noisettes!

يمكن للمتحدثين باللغة الفرنسية أن يستوعبوا السخرية والتهكم الموجود في المثال الذي تكمن طرافته في التركيب الصوتي المتشابه بين amande اللوز و amende غرامة مالية، والذي نتج عن انتهاك قاعدة "الملاءمة"؛ لكن القصد لن يصل إلى القارئ العربي إن تُرجم ترجمة حرفية؛ فالترجمة لن تكون موفقة ولن تحقق نفس القيمة التداولية، أو بعبارة أخرى؛ لن يكون هذا الملفوظ بنفس درجة الملاءمة بالنسبة لقارئ اللغة الهدف.

وبالتالي فإنّ انتهاك القواعد المتفرعة عن مبدأ التعاون أحيانا لا يخل بالعملية التواصلية؛ لا سيما إن وُجدت لدى المتواصلين تلك الكفاءة التداولية، بل ينقل المقاصد من المستوى الظاهر إلى المستوى الخفيّ؛ وبالتالي تصبح متضمنات سياقية؛

[1] بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ص. 151.

فعلى سبيل المثال إن سُئِل أستاذ عن مستوى طالبه في مادة اللغة الفرنسية التي يدّرسها فيجيب: " إنّ هذا التلميذ نشيط كما أنه ممتاز في مادة اللغة العربية" وفي هذه الحالة قد أخل بقاعدة الكم؛ لأنه أجاب بأكثر مما يلزم ولم يعط إجابة مباشرة إنما جاء القصد متضمّنا ومن المفترض أن تكون إجابته: مستواه في اللغة الفرنسية متدنّ فالكاتب أو المتكلم قد يتعمد انتهاك القواعد لتحقيق قصد ما؛ وعدم احترام معايير مبدأ التعاون قد يكون متعمّدا من أجل الوصول إلى تأثير معين، وفي مجال الترجمة يمكن للمترجم أن يستعمل مفاهيم لها علاقة بهذا المبدأ لتفسير ووصف بعض الظواهر:

« Many translational phenomena can be described fairly systematically using concepts and descriptive terms borrowed from it -Cooperative principle-»[1]

« يمكن استعمال مفاهيم ومعايير وصفية مستمدة من مبدأ التعاون لوصف عدة ظواهر ترجمية بشكل منهجي ودقيق ».

وتعد قاعدة الملاءمة من أهم قوانين الخطاب، من مسلمة أن المتخاطبين لدهم تلك القدرة التي تمكنهم من معرفة ما هو ملائم وما ليس كذلك:

« We assume that people have intuitions of relevance: that they can consistently distinguish relevant from irrelevant information.»[2]

« نفترض أن الناس لديهم حدس الملاءمة؛ إذ يمكنهم دائما التمييز بين المعلومة الملائمة والمعلومة غير الملائمة »، وهي عامل من عوامل نجاح العملية التواصلية وتبليغ المقاصد؛ فكاتب النص يقدم للقارئ ما هو ملائم له ولفكره ولمستوى إدراكه.

2- 5 نظرية الملاءمة

لقد انتقد ويلسون وسبيربر قواعد مبدأ التعاون التي وضعها غرايس واختزلاها في "مبدأ الملاءمة"؛ ويمكن له أن يكون كاشفا عن المعاني المضمرة للملفوظات، ويقول سبيربر وويلسون:

[1] Kirsten Malmkjaer, Cooperation and literary translation. p. 39.

[2] Dan Sperber and Deirdre Wilson, Relevance - communication and cognition-, p. 119.

« What makes it possible to identify such premises as implicatures is that they lead to an interpretation consistent with the principle of relevance, and that they are manifestly the most easily accessible premises to do so. Implicated conclusions are deduced from the explicatures of the utterance and the context.»[1]

« فما يمكن أن يجعل تحديد مثل هذه المسائل الافتراضية كالاستلزامات؛ أنها تؤدي إلى التأويل بالتوافق مع مبدأ الملاءمة، وهي من أسهل المسائل الافتراضية القابلة للتحليل فالاستدلال على المضمر يتم انطلاقا من المعطيات الظاهرة للملفوظ إضافة إلى السياق» وهذا باعتبار أن المتحدث أو الكاتب قد أنشأ جملة تحقق من الملاءمة ما يكفي لمزجه مع السياق؛ ومن ثم استخلاص المضمر واستيعاب القصد. ويساهم السياق؛ وبالأخص المعرفة المشتركة؛ بشكل كبير في فهم القصد المتضمن في الكلام؛ فالسياق كما عرفه ويلسون وسبربر:

« A context is a psychological construct, a subset of the hearer's assumptions about the world.»[2]

« هو تركيب نفسي وجزء من افتراضات المتلقي حول العالم»، وعلى أساس هذا الاعتبار جعل ويلسون وسبربر السياق أهم مكوّن "لنظرية الملاءمة" باعتباره جزءا من وسطه الإدراكي؛ وهذا ما يجعل القصد مفهوما والتواصل ممكنا، ومن خلال هذا المبدأ يتم الاستدلال على المعنى المقصود من خلال "الوسط الإدراكي" الخاص بالكاتب أو المتحدث، أي قدرته على إدراك وفهم حقائق الأمور والذي يتعلق بالمعلومات المخزَّنة في ذهنه، وهذا ما تم التطرق إليه سابقا ضمن مُسمَّى الكفاءة الموسوعية.

ولكن هل يتحقق التكافؤ على المستوى التداولي وتتحقق نفس درجة الملاءمة تلك في النصين الأصلي والمترجم؟ ففي النص الأصلي يتقاسم الكاتب والقارئ نفس الافتراضات ونفس الوقائع، ويتشاركان نفس الخلفية الاجتماعية والثقافية، ولإيصال مقاصده

[1] Dan Sperber and Deirdre Wilson, Relevance - communication and cognition-, p.195.
[2] Ibid., p. 15.

يهيء الكاتب ما يتوافق مع القارئ من معلومات قابلة للفهم والاستيعاب؛ لذا فمفهوم الملاءمة يتعلق أكثر بالمتلقي، وحسب سبربر وويلسون فإن هذا المفهوم مرتبطة بالمتلقي وتتأثر به:

« What counts as relevant enough also varies with the degree of intellectual alertness of the addressee.»[1]

« ما يمكن اعتباره ملائما يتغير أيضا حسب درجة التأهب الفكري للمخاطَب» فعلى سبيل المثال لن يكون المتلقي بعد يوم عمل شاق متأهبا لاستقبال المعلومة أو المشاركة في حدث تواصلي كمن يكون في اجتماع عمل هام في بداية اليوم.

ومن وجهة نظر ترجمية؛ فإنّ اعتبار "مبدأ الملاءمة" يعد عنصرا من العناصر الفاعلة في تحقيق التكافؤ على المستوى التداولي:

« What is relevant in one (ST) environment may be less or more so in another (TT) environment. Assessing relevance to intended receivers is then another of the translator's tasks»[2]

«ما هو ملائم في محيط لغة (النص الأصلي) قد لا يكون كذلك في محيط لغة أخرى (النص الهدف)؛ فتقييم الملاءمة لمتلقين مقصودين هي إذن مهمة أخرى من مهام المترجم»، ولإدراك عدم التوافق في مسألة "الملاءمة" بين اللغة الأصل ومتلقيها، واللغة الهدف ومتلقيها؛ فعلى المترجم أنْ يعمل على تحقيق نفس درجة الملاءمة، وقد يقوم حتى ببعض التعديلات والإجراءات المختلفة عن اختيارات الكاتب الأصلي ولكن بشرط أن تعبّر عن نفس قصدية هذا الأخير؛ فإن لم تكن المعلومات المنقولة ملائمة للقارئ الهدف؛ فلا يمكن تحقيق نفس العلاقة القائمة بين الكاتب والقارئ في اللغة الأصل؛ ويتم تحريف مقاصد النص الأصلي وهذا هو المعيار الأساسي للتكافؤ بين نصين على المستوى التداولي.

إنّ الإشكال المطروح من وجهة نظر ترجمية يتمثل فيما إذا تم الإخلال بمبدأ الملاءمة الذي يعتبره ويلسون وسبربر أمرا محوريا في عملية التواصل؛ وبالتالي في تحقيق قصدية

[1] Dan Sperber and Deirdre Wilson, Relevance - communication and cognition-, p. 161.
[2] Basil Hatim and Ian Mason, Discourse and the Translator, p. 95.

الكلام، وإنّ العمل بمبدأ الملاءمة يحتّم على المترجم أنْ ينتج نصّا ملائما لقارئ اللغة الهدف بنفس درجة الملاءمة القائمة بين كاتب النص الأصلي وقارئه؛ وهذا تكييف للنص بما يلائم ثقافة وفكر وتوقّع القارئ في اللغة الهدف.

3- القصدية و ترجمة أفعال الكلام:

تبوأت الأفعال الكلامية مكانة مميزة في الدرس التداولي؛ فكل خطاب هو أداة لممارسة فعلية على المتلقي، وأي لغة تحمل تعابيرا ذات قوى إنجازية مختلفة تنطوي على مقاصد مختلفة؛ وهذا ما يعتمد عليه المترجم أثناء قيامه بالعملية الترجمية.

3-1 أفعال الكلام بين الخبر والإنشاء:

يعد الاستدلال على مقاصد أفعال الكلام أمرا بالغ الأهمية وواحدة من مهام المترجم:

« It is undoubtedly the case that sensitive handling of the illocutionary function of sentences (as speech acts) is an essential aspect of skill in translating and interpreting. »[1]

« مما لا شك فيه إن المعالجة الدقيقة للوظائف الإنجازية للجمل (مثل أفعال الكلام) هو جانب مهم من المهارة في الترجمة والتأويل »، وتعد القوى الإنجازية المستلزمة أو المتضمنة لأفعال الكلام؛ القوة التي يمكن إدراكها مقاميا ولا يمكن فهمها من البنية السطحية، فكثيرا ما يخرج الخبر عن أصله لتكون خبرية اللفظ وإنشائية القصد أو العكس؛ وهذا ما يسمى بالأفعال الكلامية غير المباشرة ويعرفها جورج يول بقوله:

« Whenever there is a direct relationship between a structure and a function we have a direct speech act. Whenever there is an indirect relationship between a structure and a function we have an indirect speech act. »[2]

---

[1] Sándor G. J. Hervey, Speech Acts and Illocutionary Function in Translation Methodology. In: Leo Hickey ed., The pragmatics of translation, Multilingual Matters, Clevedon, 1998 . p. 24.

[2] George Yule, Pragmatics, pp. 54 - 55.

« تنتج أفعال الكلام المباشرة عن وجود علاقة مباشرة بين البنية والوظيفة، بينما إن وُجِدت علاقة غير مباشرة بينهما فسنحصل على فعل كلامي غير مباشر»؛ فغالبا لا تدلّ الجمل على الوظيفة الظاهرة من البنية السطحية لها؛ كما في الجملتين التاليتين:

« Peux-tu me passer le sel ? » و « Ça manque du sel.. »

فالأولى خبرية والثانية إنشائية، استفهام، وقصد كليهما يفيد الأمر والطلب وإن صيغ بشكل مباشر فيكون: « passe-moi le sel ! »

تُستشَف قصدية أفعال الكلام المباشرة بشكل جليّ من الصيغة الصورية لها، وتشمل كل فعل كلامي صريح في دلالته على القصد من الكلام الواضح من صيغ الجمل وأساليب التعبير الظاهرة، أما أفعال الكلام غير المباشرة؛ فهي أفعال تنتج عن الاستلزام، ويُعبَّر عنها بأساليب وعبارات يكون المقصود منها غير دلالاتها السطحية، ويتضمن كل فعل كلامي قوة إنجازية تتحدد حسب القصد.

3-2 ترجمة القوة الإنجازية لأفعال الكلام

لا يخلو أيّ خطاب من أفعال الكلام سواء كان أدبيا أو غير ذلك؛ فهي أفعال تتعلق بالسلوك وتحدث تأثيرا في الواقع وتثير مختلف ردود الأفعال، ولكلّ فعل كلام قوته الإنجازية؛ ومن مهام المترجم أنْ يحافظ على هذه القوة المتضمنة في الفعل أثناء النقل إلى اللغة الهدف لكي يتم تحقيق التكافؤ بين النصين الأصل والهدف؛

« Equivalence is to be achieved not only of propositional content but also of illocutionary force. At discourse level, communicative failure of a translation may be attributed to failure to represent speech acts adequately.» [1]

فلا يجب أن « يشمل التكافؤ محتوى الجملة فحسب؛ بل أيضا القوة المتضمنة في الفعل، وقد يكون مردّ فشل الترجمة على مستوى الخطاب إلى فشل تقديم أفعال الكلام بشكل

[1] Basil Hatim and Ian Mason, Discourse and the Translator, p. 76.

ملائم»؛ وبذلك لا تكون القوة الإنجازية واضحة دائما ويمكن الكشف عنها بالاستناد على عدة عناصر من بينها نبرة الكلام وغيرها كما أشار إليها جورج يول بقوله:

« Other IFIDs (Illocutionary force indicating device) which can be identified are word order, stress, and intonation.»[1]

«ومن وسائل التدليل عليها ترتيب الكلمات، والنبر أو التنغيم».

لقد ذُكر سابقا أنّ أيّ فعل كلامي يقوم على مفهوم القصدية؛ فحسب سيرل:

« Intentional states represent objects and states of affairs in in the same sense of 'represent' that speech acts represent objects and states affairs […] speech acts have a derived form of Intentionality»[2].

«فالحالات القصدية تمثل أشياء وحالات وقضايا بنفس المفهوم الذي تمثله أفعال الكلام […] وتستمد أفعال الكلام شكلها من القصدية »؛ وبعبارة أبسط وأوضح فإنّ للمتحدث أو الكاتب أفكارا وحالات ذهنية تراوده؛ وما أفعال الكلام إلا تمثيل لهذه الحالات في الواقع.

لكل كلام ننشئه أو نتلفظ به منحى غائي؛ إذ يُبنى على وحدات ذات معنى ولها وظيفة معينة ووراءها غرض وقصد معين، والمترجم ملزم أن ينقله إلى اللغة الهدف محافظا على ذلك المنحى الغائي؛ فالجملة التالية: " هل قرأت في حياتك كتابا في فن التعامل؟" تعبّر عن فعل كلاميّ غير مباشر؛ قوته الإنجازية ليست الاستفهام الظاهر، وبالرجوع إلى الجمل التي وردت قبل هذه الجملة، وإن توفّرت معلومات عن طرفي الخطاب وعن ظروف المحادثة (أي عناصر السياق)؛ قد يُستدل على قصد المرسل بأن المتلقي يفتقر إلى اللباقة في تعامله، وفي هذه الحالة فإن القصد والقوة الإنجازية غير تلك الظاهرة ويمكن الاستدلال عليها باستحضار عدة عناصر، ومن البداهة التساؤل عن حدود النقل السليم للقوة الإنجازية في اللغة الهدف؛ الأمر الذي سأحاول الإجابة عليه أثناء تحليل المدوّنة.

---

[1] George Yule, pragmatics, p. 50.

[2] John Searle, intentionality-An Essay in the Philosophy of Mind-, pp. 4-5.

إن الإشكالية التي تطرحها الترجمة في هذا الصدد تكمن في مدى التأثير على القوة الإنجازية والتأثيرية لأفعال الكلام، ومدى تأثر القصد إن تم تمثيل الأفعال على نحو خاطئ في اللغة الهدف؛ ولقد أشار بهاء الدين أبو الحسن حسن عند ذكره للصعوبات التداولية في الترجمة الأدبية إلى ضرورة تركيز الانتباه على القوة الإنجازية للنص بأكمله وهذا باعتبار أنّ تقييم القوة الإنجازية للنص ينبني على تسلسل كل أفعال الكلام المكونة له[1]؛ فالمقصد الإجمالي للنص يتكون من مجموع القوى الإنجازية لأفعال الكلام التي تشكله؛ فكل فعل يشكل زاوية مهمة من زواياه تشترك في انسجامه وتحديد مقصده في آن واحد.

يتضح في نهاية هذا الفصل أنّ كل نص أو خطاب ينبني على مقاصد قد تكون ظاهرة وقد تكون مضمرة يمكن تقصيها بالاستناد على السياق وقواعد التخاطب وتحليل المضمرات بالاستدلال؛ ويقوم القصد في بلورة المعنى وتجسيده في تركيب لغوي. ولا غنى عن مفهوم القصد في ترجمة النصوص؛ وباعتبار أنّ النص يمثل الركيزة التي تحوي مقاصد الكاتب فإنّ المترجم ملزم بالحفاظ على قصديته من خلال قيامه بالعملية الترجمية والتي يمكنه الكشف عنها باستعمال مبادئ التداولية.

تعمل الترجمة على نقل الركيزة اللغوية محافظة في نفس الوقت على قوة اللغة وعلى القصد التواصلي، ويمكن لمبدأ القصدية أن يكون الفاصل في مسألة نجاح الترجمة فاستيعاب نفس المقاصد عند المتلقي الهدف هو هدف المترجم ويتطلب هذا الأمر تقديم نص ملائم قام بتعديل التباين التداولي وتحقيق التكافؤ بين النص الأصلي ومتلقيه وبين النص الهدف ومتلقّيه وبالتالي تحقيق نفس الأثر.

[1] See: Bahaa-eddin Abulhassan Hassan, Literary translation -Aspects of Pragmatic meaning p.18.

الفصل الثالث: محطات قصدية في رواية خرفان المولى لياسمينة خضرا

- قصدية العنوان

- تحليل مقاصد موضعية في الرواية

محطّات قصدية في الرواية

اخترت بعض المواضع من الرواية المترجمة لرصد المقاصد وتبيان مدى نجاح المترجم في نقلها وفقا للسياق الذي وردت فيه؛ من خلال المقابلة بين النص الأصلي والمترجم إذ لا يمكن دراسة قصدية أي ملفوظ بمعزل عن السياق، إلا في مواضع نادرة إن تعلق الأمر مثلا بالافتراضات المسبقة، والسياق كما أشرت إليه مرارا لا يتعلق بالجانب اللغوي فحسب بل يتعدى ذلك ليشتمل على الحالة الاجتماعية والنفسية للمتلفظين (شخصيات الرواية) –كما سبق في عنصر السياق–، ولقد اعتمدت في تحليلي على عنصر الاستدلال في مواضع عديدة؛ فللعملية الاستدلالية دور محوري في الربط المنطقي بين الملفوظات وبالتالي بين القضايا التي تعبر عنها هذه الملفوظات.

قبل البدء في تحليل مقاصد الملفوظات في الرواية وتوضيحها استوجب المقام الوقوف مليّا على القصد الذي يحمله العنوان باعتباره عتبة أولى للرواية، ثم الانتقال إلى تحليل ملفوظات مختارة من مواضع متفرقة في هذه الرواية.

1- قصدية العنوان:

يرد مفهوم الأضحية أو القربان في جل الديانات وعلى مر العصور؛ فالقربان هو الهبة الّتي كان يضحي بها الإنسانُ للإلاه قصد التقرب منه وإرضائه ليقضي حاجاته، وتختلف طبيعتها حسب طقوس كل ديانة، والعنوان جاء كناية عن الأرواح التي تقدّم كقرابين من أجل مصالح عليا.

"خرفان المولى" عنوان مركب من "خرفان" جمع خروف وأضيف إليه "المولى" الذي يعني الإلاه في بعض الثقافات أو شخص له مكانة عليا ومهيبة، وهو مركب اسميّ ومن المسلم به أن المركبات الاسمية تدل على الثبوت والاستمرار إذا كان خبرها اسما

كما جاء في العنوان، عكس الفعلية التي تتميز بالتغير والتجديد،[1] ولهذا بعده التداولي المتمثل في ثبات المعلومة واستمراريتها لفترة طويلة من الزمن.

لقد جاء العنوان محمّلا بدلالات عقائدية، وتعد الخرفان رمز الأضاحي والقرابين للذات الإلهية في مختلف الديانات السماوية؛ فالخروف بالنسبة لليهود والمسيحيين يمثل « الضحية والقربان في كل المناسبات، وخاصة التجديد (Le Renouveau) الذي يتوالى فيه عيد الفصح اليهودي وعيد الفصح المسيحي، ووفاة وبعث المسيح ... »[2]، ويرمز الخروف إلى المسيح الذي يتمثل في صورة قربان فداء؛ فقد تمت « الإشارة أيضا في سفر يوحنا l'apocalypse الوجه الأسدي للخروف؛ بحيث استُعملت كلمة خروف 28 مرة للإشارة إلى المسيح »[3]. وقد نجح الكاتب في استحضار مفهوم الأضحية في العقيدة الإسلامية في نصه؛ على لسان إحدى شخصياته: "أ تعرفون لماذا أمر الله إبراهيم بأن يضحي بابنه العزيز؟"[4].

يتولّد التيه وسهولة الانقياد وراء الأقوى بسبب الخوف والضعف المتجذران في النفس الإنسانية؛ لذا كان رمز الخروف تمثيلا للضعيف سهل الانصياع، وللهبة التي تم تقديمها في سبيل إرضاء من هو أعلى مقاما، وتمثلت هذه القرابين في أطراف الصراع القائم في الرواية؛ فقد ورد على لسان داكتيلو رمز المفكر الفطن: "فرقوه وقالوا للبعض: هؤلاء طغاة وقالوا للبعض الثاني: هؤلاء إرهابيون، وانسحبوا ليتركوهم يتقاتلون ... كي يخلوا لهم الطريق

---

[1] ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص. 174.

[2] Jean Chevalier et Alain Gheerbrant, Dictionnaire des symboles, Rober Laffont et Jupiter, Paris, p. 11.

[3] Ibid.

[4] ياسمينة خضرا، خرفان المولى، ص. 146.

يتعلق الأمر بالرؤوس الكبيرة والأموال الضخمة والاستثمارات الرابحة..."[1]؛ فهؤلاء المجهولون قدموا خرفان فداء تتقاتل من أجل مصالحها.

أما بالنسبة لترجمة العنوان فكانت حرفية تحمل نفس الشحنة الدلالية التي يحملها الأصل؛ ومرد ذلك إلى الخلفية الثقافية التي جعلت من البعد الدلالي لكلمة "قربان" نقطة اشتراك بين الشعوب يتقبلها أي متلقٍ، وما صوره الكاتب في ظل هذا العنوان ما هو إلا جزء من تضحيات كبيرة وقعت آنذاك، وهذا التركيب يتضمن افتراضا مسبقا مفاده أنّ الرواية تحمل صورا دموية قاسية إلى حد ما، فسرعان ما يجد القارئُ العنوان ملائما للمضمون حيث يحمل شحنات تجذب تلفت انتباه وتركيز القارئ بتخصيص الكلام وصبّ الاهتمام على الأرواح التي قدّمت كقرابين يُتقرَّب بها إلى الإلاه طلبا لرضاه في هذه الحقبة السوداء من تاريخ الجزائر.

2- تحليل مواضع من المدونة

في هذه الدراسة التطبيقية؛ سأحاول رصد المقاصد في مواضع متفرقة من رواية خرفان المولى استنادا على القواعد التداولية السابقة الذكر.

(01)

تحمل المحادثة التي دارت بين "علال سيدهم" الشرطي وصديقه "جعفر وهاب" افتراضا مسبقا يدل على أنّ "جعفر" بدون عمل ويريد صديقه تحفيزه ليعتمد على نفسه.

1) **Pourquoi tu viens pas avec moi à Sidi Bel Abbes ?** lui suggère Allal Sidhom.
2) Pourquoi faire ?

---

[1] ياسمينة خضرا، خرفان المولى، ص. 160.

3) **Je toucherais deux mots à mon chef**. Il est serviable.
4) Jafer esquisse un sourire.
Je n'ai pas assez d'instruction pour faire carrière dans la police. (pp.13-14)

1.قال علال سيدهم مقترحا: **لماذا لا تأتي معي إلى سيدي بلعباس؟**

2.ماذا سأفعل هناك؟

3.**سأكلّم رئيسي**. إنه شخص خدوم.

4. بادر جعفر إلى الابتسام.

ليس لدي التعليم الكافي كي أنخرط في الشرطة. (ص. 14)

الملفوظان (1) و(2) هما فعلي كلام مباشرين؛ يتضمنان قوة إنجازية تمثلت في الاستفهام، ولقد حافظت الترجمة على نفس القوة الإنجازية، كما ساعد حضور الكفاءة التداولية أن يفهم "جعفر سيدهم" قصد صديقه دون أن يصرح به من الملفوظ (3)؛ بأنه سيطلب من رئيسه أن يجد له عملا، وهي عبارة متداولة في اللغة الفرنسية. ولتحقيق نفس التكافؤ التداولي ونسج نفس العلاقة بين طرفي الحوار في اللغة الهدف؛ ترجم المعنى لا اللفظ وحافظ على القصد دون التصريح به.

أما الملفوظ (4) فقد تضمن فعلا كلاميا غير مباشر ذا قوة إنجازية تمثلت في الرفض ولقد حافظ المترجم على نفس القوة الإنجازية للفعل؛ وبالتالي نجح في الحفاظ على قصدية الملفوظ.

(02)

في بقية الحوار بين "الشرطي" و"جعفر" و"قادة"؛ يمكن أن نرصد قصدا ضمنيا آخر:

1) (…) Si tu tiens vraiment à faire quelque chose de ta trainée de vie, apprends à t'assumer.
2) C'est quoi assumer ?

3) **C'est ne pas fier à un flic**, maugrée Kada .(p. 17)

1. إذا أردت فعلا أن تمنح معنى لحياتك التعيسة، تعلم أن تقبل وضعك وتتحمل تبعاته.
2. ماذا يعني أن أقبل وضعي وأتحمل تبعاته؟
3. غمغم قادة: **أن لا تثق بشرطي.** (ص. 17)

نتج عن اختراق "قادة هلال" لقاعدة من قواعد مبدأ التعاون "النوع": "لا تقل ما يفتقر إلى دليل" في الملفوظ (3) استلزاما حواريا، مفاده أنّ قادة هلال يكنّ للشرطي الضغينة وقد تم الحفاظ على نفس الاستلزام والتعبير عن نفس القصد في الترجمة العربية.

(03)

A cet instant, son père Issa passe en courant devant le garage, les coins de sa bouche effervescents d'écume.

- Qu'est-ce qu'il y a **encore** ? s'écrie le fils. (p.23)

يمكن أن نستنتج من هذا الملفوظ أنّ أمرا مماثلا قد حدث سابقا؛ فكلمة " encore " هي التي أوجدت هذا الافتراض المسبق، ويمكن استنتاجه في الترجمة أيضا:

مرّ أبو عيسى راكضا قرب المرأب، تتأجج زاويتا فمه بالزبد.

- صرخ الابن: **ماذا حدث ثانية؟** (ص.25)

لقد كانت الترجمة الحرفية ممكنة هنا، وكلمة "ثانية" كانت مقابلا مناسبا لكلمة " encore " ؛ وبالتالي أبقى المترجم على الافتراض المسبق في الجملة. وهذه الكلمة تعدّ من « الصيغ التي يُفضّل اعتبارها مصادر للافتراضات المسبقة المعجمية »[1]؛ ويدل

[1] George Yule, Pragmatics, p. 28.

هذا الأمر على أن حدثا آخر قد جرى من قبل ويتوقع الابن من خلال ملامح أبيه أنّ أمرا سيئا قد حدث مرة أخرى.

(04)

– Ramdane Ich est content. **Son fils est revenu**. (p.28)

– كان رمضان عيش مسرورا؛ **عاد ابنه عباس. (**ص. 30**)**

مفاد الافتراض المسبق في الملفوظ "Son fils est revenu" يتمثل في أنّ الابن كان غائبا عن القرية ووالده ينتظر عودته بفارغ الصبر. وقد تضمنت الترجمة الحرفية للفعل الدال عليه "est revenu" "عاد" نفس الافتراض. وبالرجوع إلى سياق النص يتبين أن عباس الابن كان غائبا لفترة من الزمن قضاها في السجن.

(05)

– Tej Osmane, le fils de Issa la Honte, ne mange pas, **lui non plus. (**P. 31)

– تاج عصمان، ابن عيسى العار، لا يأكل **هو أيضا. (**ص. 33**)**

يمكن للقارئ من خلال عبارة " lui non plus " أن يفهم أنّ هناك شخصا آخر لا يقوم بالأكل، وبالرجوع إلى سياق الحديث السابق له فالسبب وراء ذلك تمثل في تقليد الشيخ عباس بغية التقرب منه لأن الشيخ أيضا لم يكن يأكل،[1] وقد حملت الصيغة المترجمة "هو أيضا" نفس الافتراض المسبق، وعبرت الترجمة عن نفس المحتوى المُضمر.

[1] ينظر: ياسمينة خضرا، خرفان المولى، ص. 32.

(06)

وفي الملفوظ التالي عبّر "مازا البواب" عن تهكمه على "عيسى العار" الذي كان ينظف ويجمع بقايا السجائر؛ بفعل كلام غير مباشر:

- Tache de ne pas les fumer après. (p. 35)
- إياك أن تدخن هذه الأعقاب فيما بعد. (ص. 38)

لم تتغير القوة الإنجازية لفعل الكلام غير المباشر في الترجمة بإضافة التركيب "إياك"، وحملت نفس القصد المتمثل في التهكم؛ إذ يمكن كذلك في الجملة العربية أن نفهم أن "مازا البواب" يتهكم على محاوره ويسخر منه، وبالرغم من أنّ فعل الأمر "إياك" مفاده التحذير والنهي؛ إلا أنه لم يغير في القوة الإنجازية للفعل؛ وإنما زادها وضوحا.

(07)

في الحوار الذي دار بين جعفر ووالدته:

1) Quelle heure est-il ?
2) **Depuis quand tu t'intéresses à l'heure** ? Ton père et tes frères se tuent à curer le puits, et toi, **tu t'en fiches**.
3) […] À sa place, je vendrais les champs m'achèterais un petit commerce et vivrais en rentier … Mais mon père est un misérable.
4) **Si seulement ton bras était aussi long que ta langue**, dit la mère la mort dans l'âme. (p. 36)

1)كم الساعة؟

2)**منذ متى تعتني بالوقت؟** يستبسل أبوك وإخوتك في تنظيف البئر، **وأنت ضارب الدنيا على قفاها.**

3)... لو كنت مكانه لبعت هذه الحقول الجافة واشتريت تجارة صغيرة وكفيت نفسي شر الشقاء...

4)"قالت الأم مكتربة: "آهِ، **لو كانت ذراعك أطول من لسانك.**" (ص. 39)

أدى انتهاك مبدأ الملاءمة في الملفوظ (2) إلى نقل المحادثة إلى مستوى الإضمار فلم تتم الإجابة عن السؤال بما يلائمه؛ فنتج عن ذلك فعل كلامي غير مباشر تُرجم ترجمة حرفية حافظت على نفس تأثيره، وتضمن قوة إنجازية تفيد التوبيخ، وزاد ذلك وضوحا قولها: "وأنت ضارب الدنيا على قفاها"؛ من مسلمة افتراضية مفادها التأكيد بأنّ مُحاورها لم يهتم يوما بالوقت وبأنه شخص لا مبالٍ وغير مسؤول.

ولقد نجح المخاطَب في فهم المقصود وحاول التحجج والتظاهر بأنه أعلم من الجميع فتفوه بفعل كلامي آخر من خلال الملفوظ (3) أثر في والدته مما زادها قهرا، فاستلزم المقام أن ترد في الملفوظ (4) بكناية عن ثرثرته المتكررة والمزعجة بدون فعل يذكر؛ فهي تطلب منه ضمنيا أن يبادر بالعمل بدل الثرثرة، وأضاف المترجم التركيب "آه" الذي يفيد التحسر ليساعد على إيضاح القوة الإنجازية وبالتالي توخي المقصود الأصل.

(08)

وفي الحوار التالي الذي دار بين "قادة هلال" وأمه، أُريدَ أيضا لفعل الكلام غير المباشر أن يشير إلى التهكم:

1) Restez sobres, dit Kada.

2) **Pourquoi ne pas venir avec nous ?** demande la mère. **Tu ne vas tout de même pas nous apprendre les bonnes manière**s. (p.43)

1) قال قادة: لا تكثرن الكلام، اكتفين بالمفيد.

2) قالت الأم: **لماذا لا تأتي معنا وتتكلم في مكاننا؟ أَتريد أن تعلمني آداب الكلام؟** (ص.48)

تم التعبير عن الاستفهام الأول في الملفوظ (2) باستفهام يقابله في اللغة العربية إلا أنّ إضافة التركيب "وتتكلم في مكاننا" قد قام إلى حد ما بإظهار القصد الذي عمد الكاتب إلى إضماره. أما التركيب الخبري في الجزء الثاني من ردّ الأم؛ فقد تُرجم بفعل كلام غير مباشر "استفهام"، لكن تم التعبير في كلتا الحالتين عن نفس القصد وهو العتاب والتقليل من شأن ابنها "قادة" وافتخارها بأنها تحسن الكلام أكثر منه.

(09)

وفي الحوار الذي دار بين رئيس البلدية والسائق الذي أتاه بخبر انتفاض الشعب ضد السلطة:

1) Vous avez entendu la radio?
2) Le maire désapprouve du regard l'intrusion du taxieur.
3) Entendu quoi…?
4) **Alger** est en flammes.
5) **Les pompiers, c'est pas ici** . (pp. 54-55)

1) هل سمعتم الراديو؟

2) ردّ رئيس البلدية؛ الذي يبدو من نظرته أنه غير راض عن تدخل السائق المباغت: نسمع ماذا؟

3) **الدزاير** تشتعل.

4) **رجال المطافئ ليسوا عندي**. (ص.61)

لقد قام المترجم في الملفوظ (3) باستبدال لفظ "Alger" بلفظ من اللهجة الجزائرية "دزاير"؛ فأضحت العبارة أكثر ملاءمة للقارئ الجزائري بالأخص، ويمكن رصد نفس العلاقة التداولية القائمة بين المتخاطبين في الترجمة. كما أنّ انتهاك قاعدة العلاقة "كن وثيق الصلة بالموضوع" في الملفوظ (4) أنتج استلزاما حواريا يفيد التهكم والتقليل من شأن الخبر.

(10)

ثم أردف رئيس البلدية قائلا:

1) Au fait, **tu t'es acquitté de tes arriérés ?**

Le taxieur avale convulsivement sa salive

2) Pas encore, monsieur le maire. (p.55)

3) آه تذكرت، هل دفعت ما عليك من ديون؟

ابتلع السائق ريقه متلعثما:

4) ليس بعد سيدي الرئيس. (ص.62)

إن الملفوظ (1) المعبر عنه إنشائيا باستفهام مفاده أنّ على السائق مستحقات لم يدفعها بعد، واستنادا إلى السياق الذي وردت فيه المحادثة (ردة فعل السائق والمركز الاجتماعي لطرفي الحوار)؛ يُستشَفّ القصد من خلال ذلك بالإضافة إلى تضمن الملفوظ فعلا كلاميا غير مباشر يحمل قوة إنجازية مستلزمة تفهم من سياق الكلام تمثلت في التهديد بأن يبتعد عما لا يعنيه؛ فهذا من شأن الكبار.

وسيتوضح القصد أكثر في بقية الحوار ولقد تضمنت الترجمة نفس القوة الإنجازية وبالتالي تم التعبير بشكل واضح عن نفس القصد.

(11)

في بقية الحوار الذي دار بين رئيس البلدية والسائق؛ تدل الافتراضات المتضمنة فيه على قصد رئيس البلدية المتعمد في تذكير محاوره بمكانته أمامه والتقليل من شأنه:

1) Serais-**tu** cadre comme moi ?
2) Non, monsieur le maire.
3) Tes prérogatives seraient-elles nationales comme les miennes ?
4) Non, monsieur le maire.
5) Alors laisse aux cadres de la nation la latitude de gérer les problèmes de la nation.
6) **Je ne sais pas quelle mouche m'a piqué**, monsieur le maire. (pp. 55-56)

1) هل **أنت** إطار مثلي؟
2) لا، سيدي الرئيس
3) هل صلاحياتك مثلي؟
4) لا يا سيدي الرئيس.
5) إذا أترك لإطارات الأمة حرية التصرف لحل مشاكل الأمة.
6) **لا أعرف ماذا دهاني** يا سيدي الرئيس. (ص. 63)

يعبّر الاستفهامين في الملفوظين (1) و (3) في النص الأصلي عن فعلين كلاميين غير مباشرين ويتضمنان نفس القوة الإنجازية وقد خرجا من الإنشاء إلى الإخبار، ويصب القصد هنا في كونه عتاب وتقليل من شأن المخاطَب؛ بمعنى: "لست إطارا مثلي ولا تملك الصلاحيات التي أمتلكها ولا ترقى إلى مستواي فلا تتدخل فيما لا يعنيك".

ولقد كان المتحدّث في مقام يخوّله مخاطبة من هو أقل منه مستوى –في نظره– بالاعتماد على الضمير "أنت" "tu" للإشارة بأن السائق الذي يخاطبه هو الموجه إليه الكلام

دون غيره مما زاد الخطاب قوّة. وقامت الترجمة الحرفية بنقل نفس القوة الإنجازية للفعلين فبذلك حافظت الترجمة على نفس المقاصد.

أمّا الملفوظ (6) فهو متداول في اللغة الفرنسية؛ فقارئ اللغة العربية لا يمكن أن يستوعبها؛ لذا قام المترجم بترجمة المعنى حسب أفق تلقي القارئ الهدف؛ وبهذا تمكن المترجم من تحقيق نفس العلاقة الموجودة بين طرفي الحوار في النص، وبين النص والقارئ الهدف؛ وبالتالي قد تضمن الحوار نفس القصد الموجود في الحوار الأصلي؛ باعتراف السائق الضمني بأنه أخطأ.

(12)

وفي المثال التالي قام المترجم بترجمة تركيب خبري وتغيير صيغته إلى تركيب إنشائي "الاستفهام" عبَّر من خلاله عن فعل كلامي غير مباشر حقق به نفس الغرض المتضمن في النص الأصلي:

1) J’ai laissé mon fumier de fils pour mort, à la maison. (...)

2) J’espère que tu ne l’as pas tué ?

3) **Je vais me gêner**. (p.62)

1) تركت ابني شبه ميت في البيت. (...)

2) أتمنى ألاّ تكون قد قتلته فعلا ...

3) **أتتصور أنني سأتردّد؟** (ص. 70)

إن الملفوظ (3) متداول في اللغة الفرنسية ولا يمكن لترجمتها الحرفية أن تحدث نفس الأثر وتحقق نفس الغرض، ولا يمكن للمتلقي أن يفهمها؛ فقام المترجم بنقلها إلى فعل كلام غير مباشر حمل نفس القوة الإنجازية، وأدى نفس القصد المتمثل

في تأكيد المتحدث على أنه "سيقتل ابنه دون تردد".

(13)

وفي الحوار التالي هناك تباين تداولي بين النصين الفرنسي والعربي:

1) C’est en voyant deux Frères lui refuse l’accès à la mosquée que Dactylo a dit à Jafer :

2) La bête immonde se réveille

Et Jafer blasé :

3) Qu’ils aillent au diable !

4) Le diable est ici. (p. 68)

1)حينما منع ملتحيان داكتيلو من الدخول إلى المسجد، قال لجعفر:

2)إن البهيمة المتوحشة قد استيقظت.

رد جعفر يائسا:

3)فليذهبوا إلى الشيطان.

4)**إن الشيطان ها هنا** ... (ص. 76)

الملفوظ (2) عبارة عن رمز une allégorie لكل ما هو متطرف وعنصري كالنازية والفاشية وغيرهما؛ وهي متداولة في اللغة الفرنسية، وتجعلنا الجملة التي تلفظ بها "داكتيلو" نفترض أن أمرا ما في غاية الخطورة بصدد الحدوث، لا سيما وقد منعه رجلان من "الإخوان" من دخول المسجد، وبالتالي يحيل هذا الملفوظ إلى الجماعة المتجمعة في المسجد، وترجمتها بالعربية كانت مفهومة؛ إلا أنّ من ليس له علم بأصل العبارة واستعمالها قد لا يتمكن أن يستوعب عمقها.

كما أنّ رد جعفر يؤكد ذلك حينما ذكر لفظ "الشيطان" الذي يحمل شحنة دلالية محملة بالشر وما ينطوي عليه بأن هناك أمرا لا يحمد أبدا يحدث في القرية.

(14)

سأقوم فيما يلي بتحليل مقطع من الخطبة التي ألقاها "الشيخ رضوان" أحد المتطرفين على أتباعه؛ استنادا إلى السياق الاجتماعي والسياسي الذي وردت فيه، والتركيبة النفسية لمتلقي الخطبة التي تحكمت إلى حد كبير في درجة التأثر بأقواله.

يوجد من الملفوظات ما يكفي لتحديد طبيعة العلاقة بين طرفي التواصل وعن المكانة التي يوليها له أتباعه وعن تبجيلهم له؛ فقد وصف الكاتب مظهر الشيخ بأعين مريديه:

Il trône sur le minbar, seigneurial dans sa galabieh étincelante…

- J'ai dit : « Quel est ce **Houbel surgi des ténèbres** ? » Ils m'ont regardé avec dédain et m'ont répondu : « c'est le mausolée du Martyr.» J'ai dit : « **Il y a des cimetières pour les morts**. » Ils m'ont crié, horrifiés : « La gloire a ses monuments aussi. Nos enfants se doivent de s'abreuver aux sources de leur histoire. (p.70)

– قلت: " ماذا يفعل هنا "**هُبَل**"، **الآتي من ظلمات الجاهلية؟**" نظروا إلي بازدراء وأجابوا: "إنه مقام الشهيد." قلت: " **توجد مقابر للأموات.**" ردّوا عليّ صارخين: للمجد أنصابه التذكارية أيضا. ينبغي لأولادنا أن يشربوا من منابع تاريخهم". (ص. 78)

إن التركيب الإنشائي المتمثل في الاستفهام يعبر عن فعل كلامي غير مباشر الغرض منه التهكم الذي حدده السياق، وهي صورة بيانية (استعارة تصريحية allégorie

شبه المحذوف "مقام الشهيد" بالصنم "هُبَل")، وعبرت الترجمة عن نفس القصد، وما ساعد على نجاح الترجمة توفر نفس المعرفة المشتركة بين كاتب النص الأصلي والقارئ في اللغة الهدف؛ فالمتلقي يعلم مسبقا أن "هُبَل" من الأصنام التي عبدتها العرب في الجاهلية.

وفي الملفوظ " Il y a des cimetières pour les morts " اخترق الشيخ رضوان مبدأ الملاءمة حين أجاب على قول مريديه "c'est le mausolée du Martyr." بملفوظ غير ملائم مما نتج عنه استلزام حواري يقصد من خلال تلفظه أنّ هذا المقام لا يجدر أن يكون مشيدا من الأساس. ولقد احتوت الترجمة على نفس الاستلزام و عبرت عن نفس القصد.

(15)

وأضاف قائلا:

- Où est donc ce martyr au milieu de cette tourbe ? »… Non mes frères, il n'y a jamais eu de place pour les morts, encore moins pour les démunis comme vous, à **Riad el-Fesq**… … (p. 70)

– **أين هو الشهيد وسط وكر الصعاليك هذا؟** لا أيها الإخوة. لم يوجد البتة مكان للأموات، ولا للمعدمين أمثالكم في **رياض الفسق ... (**ص.78**)**

فالتركيب الإنشائي يتضمن فعلا كلاميا غير مباشر، حيث ينكر أنْ يكون ذلك البناء رمزا للشهداء، وأكد ذلك حين وصف رياض الفتح بمكان" للفسق"، وقد أحسن استعمال الكلمة في هذا التركيب ليوصل فكرته للآخرين؛ لأن المكان الذي يتحدث عنه بالنسبة له ولأتباعه المتطرفين يعد مساسا بالدين، وبما أن الكلمة مقترضة من اللغة العربية فلم يقع أيّ إشكال أثناء ترجمتها.

(16)

– وفي موضع آخر قال:

- …**et ils nous traitent en ennemis**. Et quand nous leur proposons le livre du Seigneur, ils brandissent Marx ,Sartre et Dante, **consolident devant nous les remparts de leur DÉMONcratie... .** (p. 72)

–...**ويعاملوننا كما لو كنا أعداء.** وحينما نقترح عليهم كتاب الله الكريم، يشهرون في وجوهنا كتابات ماركس وسارتر ودانتي، **ويمتّنون أمامنا أسوار شياطينهم... (ص.80)**

إنّ الافتراض المسبق الممكن استنتاجه في الجملة الأولى " et ils nous traitent en ennemis"؛ هو "أنهم ليسوا أعداء؛ ولكن هناك من يصر على معاملتهم على هذا الأساس" ولقد عبرت الترجمة عن نفس الافتراض، أما جملة: " consolident devant nous les remparts de leur DÉMONcratie" تدل على أنّ الديموقراطية الشيطانية لها أسوار وترجمة " DÉMONcratie" بـ "شياطين" غيرت إلى حد كبير محتوى الافتراض المسبق في اللغة الأصل؛ بحيث نفترض في الترجمة أن "للشياطين أسوار".

ويقصد المتكلم هنا– الشيخ رضوان– تشويه صورة الديموقراطية، وإقناع أتباعه أنها حلّت محلّ كتاب الله لأغراض شيطانية تسعى إلى هدم تعاليمه وترسيخ معتقدات خبيثة إلا أن هذا القصد يصعب استيعابه في النص الهدف.

وتفضي هذه الملفوظات في الخطاب إلى قصد واحد ذي بعد تأثيري؛ إذ أراد الشيخ رضوان باستعمال لهجة عنيفة ومتطرفة أن يحث مخاطَبيه على اتخاذ ما يلزم من تدابير لتغيير ما يرونه "منكرا"، وإقناعهم بأنه نتاج الديموقراطية التي دعت إلى التحرر إلا أن القصد تغير في الترجمة إلى حدّ ما؛ فلا يمكن أن نستوعب أنّ الأمر يتعلق

بالتحريض على الديمقراطية وتبعاته الجاهلية من أصنام (رياض الفتح) وتحرر للمرأة وغير ذلك.

(17)

وفي موضع آخر من الرواية يُفهم أن كلمة "loups" يُقصد بها شيوخ المتطرفين:

1) **C'est le sixième cheikh qui débarque chez nous en moins de deux mois**. Le maire doit leur interdire l'utilisation abusive des haut-parleurs, marmonne-t-il. On ne s'entend plus, et leur chahut a fait fuir les oiseaux.

Dactylo se relève :

2) **Les loups sont lâchés, l'agneau ferait mieux de regagner sa bergerie**.
3) Tu m'abandonnes tout seul par ici ?
4) **Rentre chez toi**. (p.74)

قال مغمغما :

1. **إنه الشيخ السادس الذي ينزل علينا في أقل من شهرين.** على رئيس البلدية أن يمنعهم من الاستعمال التعسفي لمكبرات الصوت. لم نعد نسمع بعضنا بعضا، زيادة على أنّ ضجيجهم يفزع الطيور.
2. وقف داكتيلو: **لقد فك قيد الذئاب، وما على الخرفان إلا الالتحاق بزريبتها.**
3. تتركني وحدي في هذا القفار؟
4. **اذهب إلى دارك.** (ص. 82)

في الملفوظ (1) افتراض مسبق مفاده أنّ خمسة شيوخ قد حلوا قبل هذا على القرية وهو عدد كبير، والقصد أن نشاط الجماعة في ازدياد مخيف، وبلغ درجة الخطورة بتماديهم

في فعل ما يحلو لهم، وقد تضمنت الترجمة نفس الافتراض المسبق وبالتالي أوصلت نفس القصد.

وبالاستدلال واستنادا إلى السياق الذي ورد فيه قول داكتيلو في الملفوظ (2) الذي يتضمن استعارة تصريحية حيث شبه الأصوليين بالذئاب والضعفاء بالخرفان، وحذف المشبه لعلم المخاطَب به؛ فإنه يقصد أنه يجدر بالطرائد البريئة –أي القرويين– الاختباء لئلا تقع فريسة "الأصوليين" الشرسين كالذئاب، وقد استدل "جعفر" على القصد وفهم أن "داكتيلو" عليه الذهاب إلى بيته.

وفي الملفوظ (5) انتهك داكتيلو قاعدة "الملاءمة" مما نقل المحادثة إلى مستوى الإضمار وتضمن استلزاما حواريا مفاده الرفض؛ الأمر الذي يمكن تقصيه في الترجمة أيضا.

(18)

- Toi, **au moins,** tu ne fais pas dans le détail. Reconnait Dactylo en rian.(p.76)

تشكل بعض الكلمات الدالة مفاتيح للاستلزامات العرفية؛ وفي هذا المثال لم تتم ترجمة "au moins" التي استُدل بها على معنى ضمني يمثل استلزاما عرفيا:

ردّ داكتيلو ضاحكا:

- أنت لا تعرف اللف والدوران. **ما في القلب يطفو على اللسان.** (ص. 84)

يمكن أن نستنتج من تلفظه بـ "au moins" أن هناك معنى ضمنيا مفاده أن المخاطَب "إسماعيل عيش" يحمل صفة جيدة تتمثل في صراحته وصدقه وهذا ما يميزه عمن قبله ويفتح هذا التركيب احتمال وجود صفات جيدة أخرى فيه، إلا أنّ المترجم لم يترجمه؛ وإنما أضاف "ما في القلب يطفو على اللسان" محاولا بذلك توضيح قصد الكاتب المضمر.

(19)

ومن أمثلة الاستلزام الحواري مايلي:

1) Tu n’as pas l’air en forme. **Face de Carême**.
2) Face de Carême, c’était Allal. Moi c’est Mine de rien. »
3) C’est vrai, s’en souviens l’ancien instituteur. Il était maladif, et toi faux jetons mais vos sottises étaient identiques.
4) Il s’est rattrapé depuis, lui.
5) Et toi ?
6) **J’attends le train suivant**. (p.80)

1) لا تبدو على ما يرام **يا وجه الصائم**.

2) وجه الصائم هو علال، أما أنا فسحنة لاشيء.

قال المعلم السابق متذكرا:

3) هذا صحيح كان مريضا دوما، وأنت المنافق، ولكن حماقتكما كانت متشابهة.

4) إنه تدارك الأمر منذ زمن.

5) وأنت؟

6) **أنتظر القطار المقبل**. (ص. 88)

القصد من هذا الحوار إظهار الحالة الجسمية والنفسية لجعفر التي يرثى لها، واستعمال موريس لعبارة "Face de Carême" في الملفوظ (1) يدلّ على أنّ لونَه شاحب وجسمه شاحب، ومعناه "الصوم الكبير"؛ وهو صوم لمدة 40 يوما التي تسبق عيد الفصح عند المسيحيين، ولكن ترجمتها بالصوم لا تفي بنفس الغرض ولا تشير إلى نفس الافتراض الذي يجعل القارئ العربي –لاسيما المسلم– لا يقرن في ذهنه الصوم بنحول الجسم وشحوب الوجه؛ لأن الصوم عنده رمز للعبادة والصحة الجيدة في نفس الوقت؛ وبالتالي لم تحافظ الترجمة على نفس درجة الملاءمة، وحققت التأثير بدرجة أقل.

ويتضمن الحوار استلزاما ناتجا عن انتهاك قاعدة النوع في الملفوظ (6) وقصد المتلفظ بذلك الازدراء، ويوضح هذا الأمر حال الاستسلام عند "جعفر"، وقد عبَّر المترجم عن نفس الاستلزام في اللغة العربية.

(20)

ومن أمثلة الاستلزام الحواري الناتج عن انتهاك قواعد مبدأ التعاون الحوار الذي دار بين "تاج عصمان" والخباز الذي قام بإهانة والد "تاج":

1) **Encore** un mot mal déplacé et je te déplace la mâchoire....
2) il te doit combien ? fait Tej peu emballé par la bagarre.
3) **Toutes tes dents, fils de chien.** (pp. 82-83)

1) كلمة واحدة في غير محلها وأعمي لك عينك(....)
2) كم هو مدين لك؟
يبدو أنه لم يكن متحمسا للمبارزة.
3) **جميع أسنانك أيها الكلب.**(ص. 91)

إن كلمة "encore" في الملفوظ (1) تثير افتراضا مسبقا يتمثل في أنّ الخبّاز قد تفوه قبلا بكلمات ليست في محلها وليست هذه أول مرة، وقد أحدث تجاهلها في الترجمة إلغاء الافتراض المسبق، وبالتالي لم تحدث الترجمة نفس التأثير الموجود في اللغة الأصل فقد ربط الكاتب الكلام بعلاقة سببية بين "mot déplacé" و "mâchoire déplacé"؛ ليَحيك صورة بيانية يقصد بها التهديد بالضرب وبالتحديد باللكم في حال التفوه بكلام غير ملائم وتم التعبير عن هذا القصد في اللغة الهدف ولكنه لم يكن بنفس القوة ونفس جمالية الأسلوب في النص الأصلي. وانتهاك الخباز لقاعدة العلاقة في الملفوظ (3) نتج عنه استلزام حواري يحمل قصدا ضمنيا تمثل في التهديد المتبادل والرغبة في العراك.

(21)

1) Lyès s’aperçois que sa cigarette s’est consumée entre ses doigts. **Pourquoi font-ils tout ce raffut ? Maugrée-t-il. Ils ont eu les mairies, ils vont avoir l’assemblée, alors pourquoi ces manouvres ?**
2) Zane glisse soudain de sa branche et vient s’allonger devant le ferronnier :
3) Crois-tu qu’ils voudront de moi ?
4) **Si tu es capable de guerroyer un sabre dans une main et dans l’autre un tabouret, ils t’engageront d’office..** (p.101)

1) انتبه إلياس إلى سيجارته التي تحترق بين أصابعه. تمتم قائلا:

لماذا يحدثون كل هذا الضجيج؟ لقد استولوا على البلديات وهم مقبلون على الفوز في المجلس الوطني، فلماذا كل هذه المناورات؟

2) انزلق زان فجأة عن غصنه وتمدّد قرب الحداد:

3) هل تعتقد أنهم سيقبلونني في صفوفهم؟

4) **إذا كنت قادرا على خوض الحرب بسيف في يد وفي الأخرى مقعد، سيجندونك فوراً.** (ص.112)

خرج الإنشاء في الملفوظ (1) لإلياس عن أصله؛ لأنّ أفعال الكلام المتمثلة في الاستفهام تتضمن هنا قوة إنجازية تتمثل في الاستنكار والانزعاج؛ بمعنى ليس هناك أي داع لهذه الضجة، وقد تم التعبير عن نفس أفعال الكلام غير المباشرة في الترجمة وتضمنت نفس القوة الإنجازية.

وفيما يليها ينتهك إلياس قاعدة من قواعد مبدأ التعاون؛ وهي قاعدة الكم في الملفوظ (4) ؛ فلم يقم بإعطائه الرد المناسب فنتج عنه استلزام حواري تمثل في التهكم على قصر قامته، وعبّر المترجم عن نفس الاستلزام المتضمن في المحادثة.

(22)

وفي موضع آخر من نفس المحادثة:

1) Tu es sérieux ? Tu veux vraiment rallier leurs rangs ?
2) Il faut savoir se mettre à temps du bon côté. Et puis, **ils ne sont pas forcément dans l'erreur** (…). **En plus, ils militent pour l'Islam, et je suis musulman.**
3) **Tu l'étais aussi lorsque tu détroussais les pauvres grand-mères de la ville**. (pp.101-102)

1) أأنت صادق في قولك؟ أتريد فعلا الالتحاق بجماعة الملتحين؟

2) **ينبغي انتهاز الفرص في الوقت المناسب. ثم إنهم ليسوا بالضرورة على خطأ (...) زيادة على هذا إنهم يناضلون من أجل الإسلام، وأنا مسلم.**

3) **أظن أنك كنت مسلما أيضا حينما كنت تسلب وتنشل أموال وحلي عجائز المدينة الفقيرات.** (ص.113)

تتضمن أفعال الكلام المباشرة الواردة في الملفوظ (1) قوة إنجازية تمثلت في الاستفهام الذي يقصد المتكلم "إلياس" من ورائه التقرير والتأكيد على قرار المخاطَب "زان القزم"، وترجمتها تضمنت نفس القوة الإنجازية.

أما في الملفوظ (2) نتج عن انتهاك قاعدة الكم استلزام حواري مفاده أن ردّ "زان القزم" كان بالإيجاب "نعم"، ولقد حافظت الترجمة على نفس القصد المضمر.

وفي الملفوظ (3) نتج عن انتهاك قاعدة الكم استلزام حواري تمثل في سخرية إلياس من "زان القزم" الذي ادعى التزامه بالإسلام في حين أنه سارق، بالإضافة إلى أن إلياس تقصّد أن يشكّك في نوايا المخاطَب فيما يخص التحاقه بالجماعة. وعبرت الترجمة

على نفس قصد التهكم والتشكيك، إلا أن ترجمة كلمة "pauvres" بـ "الفقيرات" قد أوجدت تناقضا؛ فكيف يمكن للفقيرة أن تمتلك حليا ونقودا؟! في حين كان المقصود بهذه الكلمة في اللغة الأصل "مسكينات" دلالة عل حالة الضعف المعنوية لا المادية.

(23)

ومن حوار "زان" مع "تاج عصمان" والذي طلب من هذا الأخير ضمّه إلى الجماعة:

1) Je veux juste savoir : est-ce à cause de ma taille ?
2) **Tes yeux et tes oreilles nous suffisent**. Maintenant va-t'en. J'ai un joint à remplacer. (p.105)

1) مجرد تفصيل فقط، هل بسبب قامتي القصيرة؟
2) **تكفينا عيناك وأذناك.** انصرف الآن ودعني أكمل عملي.

يعبر الملفوظ (1) على فعل كلامي مباشر تمت ترجمته كذلك بفعل كلامي مباشر في اللغة العربية، كما عبر عن نفس القوة الإنجازية المتمثلة في الاستفهام المجرد. وانتهاك المتكلم في الملفوظ (2) لقاعدة العلاقة؛ نتج عنه استلزام حواري وقصد ضمني تمثل في رفضه انضمام زان للجماعة للقتال، وبدلا من ذلك طلب منه أن يكون جاسوسهم ولقد نجح المترجم في التعبير عن نفس القصد.

(24)

إن الحوار الذي دار بين "داكتيلو" و"إسماعيل عيش" رئيس البلدية الجديد الذي نصبته الجماعة ينطوي على عدّة مقاصد موضعية:

1) Comment vont les affaires l'écrivain ?
2) Au train où vont les choses.

3) **Les choses vont très bien**, tranche Smaïl susceptible.

4) Tant mieux. (p.112)

1)كيف الأحوال أيها الكاتب؟

2)**على حسب ما تسير به الأحوال الأخرى.**

ردّ اسماعيل بنبرة مريبة:

3)الأحوال على أحسن ما يُرام.

4) هذا أفضل لنا ولكم. (ص.124)

يعبر الملفوظ (1) لـ"إسماعيل عيش" عن فعل كلامي مباشر تمثل في الاستفهام وفي الرّد عليه انتهك "داكتيلو" قاعدة الطريقة فلم يلتزم الوضوح؛ فنتج عنه استلزام حواري يرمي إلى أنّ الأمور ليست على ما يرام؛ فاستنادا إلى المعرفة المشتركة بين الطرفين بأن الوضع الاجتماعي والسياسي لا يسرّ؛ فقد فهم رئيس البلدية –من خلال رده في الملفوظ (3)– قصد محاروه الضمني بأن داكتيلو لا تعجبه أحوال القرية.

(25)

1) Avec toi**, il y a toujours anguille sous roche.**
2) **Il n'y a plus d'eau dans la rivière, Smaïl.**
3) Monsieur le maire ! **On ne garde pas les vaches ensemble**… Toi, on ne sait jamais ce que tu as derrière la tête.
4) Seulement mes mains. (…) (p. 112)

1)**الحديث معك يخفي دائما أسماكا تحت الأحجار.**

2)**لا يوجد الماء في الوادي يا اسماعيل.**

3)**لا أتذكر بأننا قمنا برعي البقر معا**... أنت بالذات لا نعرف ماذا تخفي داخل رأسك.

4)يداي فقط. (...) (ص. 125)

إن عبارة "il y a anguille sous roche" المتداولة بكثرة في اللغة الفرنسية تعنى "من الصعب أن نخمن ما يدور في خلدك"، وتحتوي العبارة على رمز سمك الأنقليس واستعمالها لم يكن عبثا لأنه رمز التملص والتكتم،[1] ولكن التعميم في الترجمة غيّر إلى حد ما من القصد.

ولقد انتهك "داكتيلو" مرة أخرى متعمدا قاعدة من قواعد مبدأ التعاون "الكيف"، واستنادا إلى السياق وعناصره لا سيما المتلفظ الذي يعتبر رمز الفكر والثقافة في الرواية فإن الملفوظ (2) يخفي وراءها قصدا؛ وتحمل كلمة "plus" افتراضا مسبقا مفاده وجود مياه في الوادي من قبل، وبالطبع لا يقصد الوادي حرفيا إنما انطوى الاستلزام والافتراض على قصد مفاده أنّ الأوضاع قبلا كانت أحسن من الآن، ولكن الترجمة " لا يوجد الماء في الوادي " بحذفها لهذه الكلمة حذفت الافتراض المسبق كذلك؛ وبالتالي ألغت هذا التفصيل المهم في اللغة العربية.

في الملفوظ (3) يبدو من رد "اسماعيل عيش" "Monsieur le maire !" أنه أراد أن يذكر محاوره بالفرق الاجتماعي بينهما وأنه أرفع مركزا منه؛ فهذه العبارة هي في الواقع فعل كلام غير مباشر تمثلت قوته الإنجازية في الأمر "قل سيدي الرئيس وليس "اسماعيل"" وأكد ذلك بقوله: "...On ne garde pas les vaches ensemble"؛ وكأنه أراد أن يقول: لسنا من نفس الفئة الاجتماعية وعليك مراعاة هذا الأمر جيدا.

لكن الترجمة لم تحمل نفس القصد بحذفها Monsieur le maire ! ، كما أن الترجمة الحرفية للعبارة المتداولة في اللغة الفرنسية – السابقة الذكر- التي كان نقلها إلى العربية على النحو الآتي: "لا أتذكر بأننا قمنا برعي البقر معا" لم تراعي مبدأ الملاءمة؛ إذ يصعب على القارئ العربي استيعاب نفس القصد المنشود في النص الأصلي.

---

[1] Voir: Jean Chevalier et Alain Gheerbrant, Dictionnaire des symboles, p. 45.

(26)

وفي بقية الحوار يبدو أن لإسماعيل قصدا ضمنيا آخر من كلامه:

Smaïl s'éloigne de quelques pas, pivote sur ses talons :

- **Au fait, c'est quoi ton vrai nom, Dactylo ?** À la longue, ça tarabuste. Il faut qu'il soit vachement compromettant pour se garder de le décliner, hein ? À moins qu'il n'ait des connotations obscènes.

Le ton est monocorde, mais ciblé, pleinement significatif. Dactylo sent soudain ses tripes s'enchevêtrer. (pp.112-113)

ابتعد اسماعيل بعض الخطوات ثم دار على عقبيه:

- **آه تذكرت، ما هو اسمك الحقيقي يا دكتيلو؟** مع طول الأيام والسنوات، أضحى في الأمر إن. ألا تكون شاركت في دسائس مريبة كي تخفي اسمك طوال هذه الفترة؟ أم أنه يحمل دلالات بذيئة.

كانت النبرة رتيبة، ولكنها مصوبة بدقة، مليئة بالإيحاءات. فجأة شعر داكتيلو بأن أحشاءه تتلوى. (ص.ص. 124-125)

ففعل الكلام غير المباشر "c'est quoi ton vrai nom, Dactylo?" له قوة إنجازية متمثلة في التهديد؛ فسؤاله عن اسم "داكتيلو" الحقيقي هو تهديد له بأنه سينبش ماضيه لأنه يشك أنه متورط في أمر ما، وتشير نبرة صوته –التي وصفها الكاتب– إلى جديّة التهديد، ولقد تضمنت الترجمة نفس القوة الإنجازية؛ وبالتالي نفس القصد.

(27)

وفي حوار دار بين "جعفر" و"علال" الشرطي؛ قال هذا الأخير:

- J'ai peur, moi aussi, figure-toi .La première tuile qui se décroche va atterrir sur **mon képi.** (p.116)

– تصوّر أنني خائف أيضا. إن القرميدة الأولى التي ستسقط ستقع حتما على **قبعتي**. (ص.132)

يمكن أن نستدل انطلاقا من لفظة "képi" أن السبب الذي يجعله أول الضحايا هو انتماءه لسلك الأمن الوطني، وهذا المصطلح يعني القبعة التي يرتديها المنتمين إلى مختلف قطاعات الأمن الوطني، أما ترجمتها بـ"قبعة" قد تكون مبهمة إلى حد ما؛ إذ يتعذر إنشاء هذه العلاقة السببية، إلا إن تم الرجوع إلى السياق الذي يحدد مهنة "علال".

(28)

يتعمد الكاتب أحيانا الغموض في بعض المواضع قصد التأثير في المتلقي، والمقصود بالغموض هنا ليس الغموض التام الذي يستغلق معه العقل على الفهم والتواصل؛ إنما ذلك الغموض الذي يفتح المجال للتفكير والتأويل، والمبني للمجهول تقنية من تقنياته، فلا يصرح الكاتب بالفاعل قصد التأثير في المتلقي.

في الجملة المبنية للمجهول التي تلفظ بها "تاج عصمان" يمكن أن نستنتج أنها تتضمن افتراضا مسبقا:

– Frères, **nos leaders ont été arrêtés**. Les membres du Mejless sont tous en prison. Et cheikh Abbas aussi. (p.119)

– أيها الإخوة، **لقد أوقفت السلطة الكافرة شيوخنا.** أعضاء المجلس كلهم في السجن. ومعهم الشيخ عباس أيضا. (ص.133)

قد أفاد هذا الافتراض في الملفوظ باللغة الفرنسية أن أشخاصا مجهولين قد ألقوا القبض على قادة الحركة، لكن عندما تغيرت الصياغة في العربية إلى المبني للمعلوم أضاف

المترجم الفاعل المحذوف في الأصل وحدده بـ "السلطة"؛ فأصبح الافتراض مصرحا به غير مضمر، وهو أنّ "السلطة الكافرة" هي من قبضت عليهم، وهذا ما لم يصرح به الكاتب الأصلي؛ لأنه أراد بذلك أن يترك للقارئ استنتاج من قام بالفعل بالاعتماد على السياق.

(29)

وفي الحوار الذي دار بين "زان القزم" وقروي أراد أن يعلم ما تحتويه ملصقات علقها "الأصوليون" على الجدران:

- Qu’est-ce qu’il y a sur ces feuilles ?
- Ça, dit le nain en montrant l’affiche gauche, **c’est la liste du gros lot**. Et ça, **c’est celle des gagnants à la loterie**. (p. 137)

- ماذا يوجد في هذه الأوراق؟
- قال زان القزم مشيرا إلى ملصقة اليسار: هذه قائمة الفائزين في اللوتو. وهذه – مشيرا إلى الأخرى– قائمة الرهان الرياضي.

انتهك "زان" بجوابه قاعدة من قواعد مبدأ التعاون (قاعدة النوع: لا تقل ما تعتقده كذبا) ونتج عن ذلك استلزام حواري تمثل في التهكم والسخرية من القروي الأميّ الساذج، ويمكن كذلك فهم هذا القصد من خلال الترجمة.

(30)

و في موضع آخر أيضا أضاف المترجم تفصيلا قام من خلاله بإظهار ما أُضمِر في الأصل، وورد على لسان "داكتيلو" الذي كان يحادث "مراد" شقيق "إلياس" الذي انتمى إلى الجبهة:

1) La religion n’a rien à y voir, dit Dactylo. Diversion, mon cher. **Depuis le début. Le problème est ailleurs**. On a pris le peuple et on l’a écartelé, comme ça, dans le tas. On a dit aux uns « voilà les taghout », aux autres «voici les terroristes », et on s’est retiré pour les voir s’entre-déchirer.
2) Mais pourquoi ?
3) Pour avoir les mains libres. Il s’agit de grosses galettes, de pactole, d’investissements…(p. 141)

1) ليس للدين أي دخل فيما يحدث. هذا تضليل يا عزيزي. **ومنذ البداية المشكل في مكان أخر. خطة مدبرة في الخفاء** ضحكوا على الشعب المسكين، فرقوه وقالوا للبعض: هؤلاء طغاة. وقالوا للبعض الثاني: هؤلاء إرهابيون". وانسحبوا ليتركوهم يتقاتلون.
2) ولكن لماذا؟
3) لكي يخلو لهم الطريق. يتعلق الأمر بالرؤوس الكبيرة والأموال الضخمة والاستثمارات الرابحة ... (ص.160)

تشير الجملة "Depuis le début. Le problème est ailleurs" في الملفوظ (1) إلى افتراض مسبق يفيد أن ما يحدث من وقائع أمر مدبّر من جهة مجهولة، ومن المفترض أن يبقى هذا القصد ضمنيا إلا أن المترجم أوضحه بعبارة صريحة أضافها "الخطة مدبرة في الخفاء".

(31)

وفي الحوار الذي دار بين "الحاج منور" و"عيسى عصمان" بخصوص الحاج "موريس":

1) Que veux-tu de moi Issa ?
2) J’ai racheté la ferme du temps où Smail Ich gérait la mairie (…)
3) **Que veux-tu de moi, à la fin ?**

4) **Maurice est en danger**… Haj Menaouar rit silencieusement. …
5) **Dans quel monde vis-tu**, Sy Menaouar ? **Les étrangers sont déclarés indésirables.** Ceux qui refusent de quitter le pays sont liquidés. (p.153)

1) ماذا تريد مني يا عيسى؟
2) لقد اشتريت المزرعة في الفترة التي كان فيها اسماعيل عيش رئيسا للبلدية (...)
3) **وأنا ما شأني في الموضوع؟(...)**
4) **إن موريس في خطر ....**

ضحك الحاج منور بصمت(...)

5) **في أي عالم تعيش يا سي منور؟ لقد صدرت فتوى بعدم قبول أي أجنبي على هذه الأرض.** ومن يرفض مغادرة البلد سيقتل. (ص. 173-174)

تضمن فعل الكلام المباشر في الملفوظ (3) قوة إنجازية تمثلت في الاستفهام المجرد أما ترجمتها فكانت بفعل كلام غير مباشر بصيغة إنشائية مماثلة؛ إلا أنّ قوتها الإنجازية قد تغيرت بذلك؛ فالملفوظ "وأنا ما شأني في الموضوع؟" تعنى في التداول اللساني العربي لا سيما الجزائري؛ "لا دخل لي في الموضوع"، أما قوله "ماذا تريد مني، في الأخير؟" فيدل على طلبه المباشر في معرفة ماذا يريد منه محاوره من محادثته في هذا الموضوع والإصرار على ذلك؛ فالملفوظ (3) في النص الأصلي كان تأكيدا لفظيا للملفوظ (1) وهذا ما لم يُؤخَذ بالحسبان في الترجمة.

وانتهاك عيسى عصمان قاعدة "العلاقة" في الملفوظ (4) يفضي إلى استلزام حواري مفاده التهكم. أما الملفوظ (5) فقد حوى فعلا كلاميا غير مباشر في قول "عيسى عصمان": "Dans quel monde vis-tu, Sy Menaouar ?" المعبَّر عنه بالاستفهام

تضمن قوة إنجازية مفادها التقرير؛ بمعنى: أنت لست على دراية بما يحصل، وقد حملت الترجمة نفس القوة الإنجازية.

أما الجملة المبنية للمجهول "Les étrangers sont déclarés indésirables" تحمل افتراضا مسبقا يستلزم أن هناك من لا يرغب بوجود الأجانب، وعدم ذكر المتلفظ للفاعل وجعله مجهولا مقصود للتأثير على المتلقي؛ الذي فهم قصده لتشاركهما نفس الخلفية المعرفية ولكن الترجمة قامت بصياغة الجملة صيغة مبنية للمعلوم ألغت فيها هذا الافتراض المسبق وحملت معلومات تعمّد الكاتب عدم التصريح بها؛ فالكفاءة التداولية كفيلة بكشف القصد دون التصريح به.

استنادا إلى السياق اللغوي الرابط بين الجملتين الأخيرتين (لقد صدرت فتوى ... يقتل) في الملفوظ (5) يتبين أن "موريس" أصبح محل طمع المتلفّظ الذي يريد الاستيلاء على منزله؛ فالقصد من هذا الحوار قصد تأثيري تمثل في إقناع الحاج منور بضرورة حثّ موريس على ترك القرية إذا أراد النجاة.

(32)

وفي جزء من نفس المحادثة ورد ما يلي:

- Je refuse de te croire.
- Tu es libre de me croire ou de ne pas me croire, **mais, de grâce, ne le fais pas au détriment de quelqu'un d'autre**. Maurice doit se tailler d'ici. (…) (p.155)

- أرفض أن أصدق مثل هذا الأمر الفظيع.
- أنت حر في التصديق أو عدم التصديق. **المهم** أن الحاج موريس يجب أن يغادر القرية فوراً. (...) (ص. 176)

تعدّ كلمة "mais" من الكلمات الدالة على الاستلزامات العرفية، لكن الترجمة بإلغائها إضافة إلى الملفوظ: "de grâce, ne le fais pas au détriment de quelqu’un d’autre" قد ألغت علاقة التضمين الموجودة في الأصل، وإضافة كلمة "المهم" إلى التركيب لم يساعد في توضيح الصورة الكاملة للمتضمَّن، وقد حملت هذه الكلمة افتراضا مسبقا مفاده "أن ما تعتقده أقل أهمية" وهذا ما لم يرد في النص الأصلي.

كما أن اللفظ المحذوف في الترجمة تضمن افتراضا مسبقا يتمثل في أنّ شخصا آخر سيتأثر بعدم تصديقه لكلامه، وهذا ما لم يرد في الترجمة فلم يقم المترجم بتوضيح الركيزة اللغوية التي تحمل هذا الافتراض.

(33)

Issa reprend son turban, l’enroule soigneusement autour de sa tête, se contemple dans le rétroviseur. Séduit par son reflet, il lui cligne de l’œil et lui dit :

– **Tu** n’as pas plus de cœur qu’un scorpion, Issa la Honte. Je me demande comment cette glace arrive à contenir ton ignominie sans exploser. (p. 155)

أخذ عيسى عمامته، لفها بعناية حول رأسه، تأمل سحنته في المرآة الارتدادية. أعجبه منظره، غمز طرف العين وقال:

– **أنت** تملك قلب أفعى يا عيسى العار. أتساءل كيف لهذه المرآة أن تعكس حقارتك دون أن تتكسر. (ص.177)

يحمل هذا الملفوظ وصفا دقيقا لـ "عيسى العار" كسياق غير لغوي يساعد المتلقي في معرفة أنه من تحدث؛ حين أشار إلى نفسه في المرآة بالضمير "أنت" "tu" بدل الضمير "أنا" "je"؛ وقصد الكاتب هنا تبيان حجم حقارة "عيسى العار" الذي اعترف بها بكل وقاحة أمام نفسه وكأنه يفتخر بذلك، وبالرغم من ترجمة كلمة "scorpion"

التي يقابلها في العربية "عقرب" بـ "أفعى"؛ لم يتغير القصد؛ حيث إنّ كلا الوصفين يدل على الأذى الشديد.

(34)

وفي الملفوظ التالي لـ"زان القزم" قام المترجم بترجمة فعل كلام غير مباشر بفعل كلام مباشر:

- De toutes les façons, ils ne l'emporteront pas au paradis. **Un jour, nous finirons par les rattraper et nous leur ferons payer leur barbarie**. **S'attaquer à la pauvre Aïcha ? Si ce n'est pas malheureux**. Une femme si discrète, si frêle… (p. 171)

-على كل حال، سوف لن يدخلوا الجنة. **سيأتي اليوم الذي يَدفعون فيه ثمن وحشيتهم غاليا. مسكينة خالتي عائشة، من كان يظن أنه يوجد شخص في القرية سيمسها بسوء. شيء مقرف حقاً**. امرأة خيِّرة، متحفِّظة... (ص.195)

في الملفوظ "Un jour, nous finirons par les rattraper et nous leur ferons payer leur barbarie" افتراض مسبق مفاده أنّ المتحدث ومن معه هم من سيقبضون على من قام بقتل "الخالة عائشة" ويتوعدون بمعاقبتهم؛ متظاهرا بذلك أمام ابنها ليبعد عن نفسه الشبهة ولكن المترجم غير الصياغة دون إدراج من سينفذ فعل الانتقام.

وتمثلت القوة الإنجازية لفعل الكلام غير المباشر "S'attaquer à la pauvre Aïcha ?" في الاستنكار، ولقد ترجمت بتركيب موسع يحمل نفس القوة الإنجازية.

أما قوله: "Si ce n'est pas malheureux" فيتضمن قصدا مختلفا عن الترجمة فالقرف غير الحزن، والقصد من هذه التركيب ككل على أساس السياق اللغوي هو إظهار

زان القزم الحزن المصطنع، ويمكن رصد نفس القصد في الترجمة إلا أنّ ترجمته بالعبارة "شيء مقرف حقاً" قد أشارت إلى أمر مختلف؛ لكن السياق تحكم في إظهار نفس قصد النص الأصلي.

(35)

وقد ورد استلزام في الحوار التالي الذي دار بين أفراد القرية:

- C’est de notre faute, explose Mourad. Pendant que dans les autres villages, les gens s’organisent et réclament des armes pour **se défendre**, nous nous contentons de **jouer les saintes nitouches**(...).
- Ils ont assassiné des nourrissons…
- Ils ont tué Dieu en eux. ….(p. 171)

- انفجر مراد غاضبا: الخطأ خطأنا. في القرى المجاورة، يتنظم أهلها ويطالبون بالأسلحة للدفاع عن ممتلكاتهم وأعراضهم ونحن نكتفي **بالشكوى والعويل كالنساء...**
- إنهم يقتلون الأطفال والرضع.
- لقد قتلوا الله في داخلهم... (ص.196)

إن الملفوظ "jouer les saintes nitouches" متداول في اللغة الفرنسية؛ ويُقصد به الشخص الذي يتظاهر بالحكمة ويتصنّع البراءة، وبالأخص المرأة التي تتصنع الحياء والاحتشام لتبدو فاضلة أمام الناس، والقصد من ورائه في هذا السياق أنّ أفراد القرية يفضلون الادّعاء والتغاضي على التصرف غير السليم. ومراعاة لمبدأ الملاءمة قام المترجم بتكييفها لتلائم ثقافة القارئ العربي.

أما الملفوظ الذي يليه "Ils ont assassiné des nourrissons" يشير إلى أن هذا الفعل قد حدث فعلا في الماضي، وقد كان جواب شخص آخر من أفراد القرية

بـ "Ils ont tué Dieu en eux" ملائما؛ بحيث قام بإنشاء علاقة سببية بين الملفوظين يمكن استنتاجها بعملية استدلالية بسيطة؛ فالقصد من الملفوظ الأخير تمثّل في أنّ خشية الله ماتت في قلوبهم؛ لذا فقد أقدموا على أفضع الجرائم إلى درجة قتل الرضع كذلك. أما في الترجمة فيصعب الربط بين الملفوظين بعلاقة سببية؛ إذ يُخيل للقارئ أنهما لا يتعلقان بنفس الأمر لا سيما وأن الفعل في الملفوظ الأول جاء مصرفا في الحاضر عكس الأصل، ويقول "جون لاينز" في هذا الشأن: « ينبغي علينا أن نعرف زمن نطق الوحدة الكلامية ... وهذه حقيقة لها علاقة بصدق القضية»[1]، وقد عبر الزمن الماضي هنا عن قضية صادقة ودقيقة حدثت فعلا، أما ترجمة الفعل في الحاضر فقد عبرت عن قضية عامة لم يُحقَّق صدقها بعد.

(36)

ومن بين الأمثلة التي تُرجمت مع مراعاة عنصر الملاءمة:

- **Il y a des taupes partout**, Mourad. Faut pas croire que celui qui te sourit est de ton côté. Ghachimat est truffé de vipères. (p.172)

- **للجدران آذان صاغية** يا مراد. لا تظن أن الذي يبتسم لك هو بالضرورة إلى جانبك. غاشيمات غاصة بالأفاعي. (ص. 197)

القصد من الملفوظ " Il y a des taupes partout " يتمثّل في الحذر من الجوسسة المنتشرة وعدم الثقة في أيّ شخص مهما كانت صفته، وقد ترجمت بعبارة متداولة ملائمة في اللسان العربي وحققت نفس القصد "للجدران آذان صاغية".

---

[1] لاينز جون، اللغة المعنى والسياق، ص. 226.

(37)

انتقلت الترجمة إلى مستوى التصريح كذلك في الملفوظ الآتي:

- Douze ! … ça fait vingt-quatre en tout. C’est pas mal, et **je vous félicite**. (p.174)

– اثنا عشر... إننا أربعة وعشرون في المجموع. هذا شيء جميل **وأهنئكم على هذه المبادرة الشجاعة.** (ص.199)

إن الافتراض المسبق في الملفوظ الأصلي "je vous félicite" يشير إلى أنّ شيئا ما يستدعي التهنئة، وقام المترجم بترجمته وتحديده بصورة أوضح بعبارة "وأهنئكم على هذه المبادرة الشجاعة".

(38)

من أمثلة إظهار المضمر في الترجمة ما ورد في الحوار الذي دار بين والدي "تاج عصمان":

1) Tu dois être effectivement très fatiguée.
2) De te voir dans cet état.
3) **Que veux-tu que je fasse ? Que je m’en réjouisse, que je sorte acclamer le charisme de mon rejeton?**
4) Tej sait ce qu’il fait.
5) Ah oui (p.177)

1) إنك متعبة فعلا.

2) بسبب رؤيتك في هذه الحالة.

3) وماذا تريدين مني أن أفعل ؟ أن أرقص زهوا، أن أخرج إلى الشارع لأخبر القرية بإمارة ابني؟

4) إن تاج يعرف ماذا يفعل.

5) **هذا رأيك أنت...** (ص. 201 – 202)

إن أفعال الكلام غير المباشرة في الملفوظ (3) تتضمن قوة إنجازية مفادها الخجل والاستنكار والغضب بسبب فعلة ابنه بهجومه على القرية التي تكون مسقط رأسه.

بالاستناد إلى السياق الذي يشير إلى عدم رضا "عيسى" عن تصرف ابنه؛ فإن العبارة "Ah oui" يقصد به العكس تماما، وقد تُرجمت بصيغة مغايرة لكنها تحمل توضيحا للمعنى المتضمن في النص الأصلي "هذا رأيك أنت"؛ وقد حوت افتراضا مسبقا مفاده: لي رأي مغاير. وتغير البنية في اللغة الهدف لم تغير من الافتراض المتضمن فيها ولا القصد المنشود.

(39)

وفي الحوار الذي دار بين "زان القزم" و"عيسى عصمان":

- **Tu es de quel côté**, lutin de malheur ? À t’entendre, on dirait que tu t’en réjouis.
- J’ai pris un risque énorme en t’avertissant, et ça ne te suffit pas? Je suis certain qu’il y a au moins trois ou quatre bonhommes dans les parages pour te surveiller, peut -être même pour te crucifier. Et ça ne m’a pas empêché de venir jusqu’à toi. Qu’est-ce qu’il te faut de plus pour me situer ? J’ai jamais laissé tomber mes amis, moi (p.p.181.-182)

– وأنت يا طائر النحس، **من أي اتجاه؟** وأنا أسمعك، أحس أنك تتلذذ بشقائي.

– لقد عرضت نفسي لخطر كبير حينما أتيت إلى دارك لأخبرك بما يقع، هذا لا يكفيك؟ أنا متأكّد أنه يوجد على الأقل ثلاثة أو أربعة رجال في الضواحي لمراقبة تحركاتك ربما يعدون خطة لصلبك. ولم يمنعني ذلك من المجيء إلى بيتك. ماذا تريدني أن أفعل كي أحدد موقفي؟ أنا لن اتخلى عن أصدقائي أبدا. (ص.207–208)

يحمل الملفوظ "Tu es de quel côté" افتراضا مسبقا يشير إلى وجود طرفين، ويتضمن فعلا كلاميا مباشرا يحتوي قوة إنجازية تمثلت في الاستفهام، أما الافتراض في الترجمة فمفاده "يوجد أكثر من اتجاه " والاتجاه مختلف عن الطرف.

ولقد انتهك المتلفظ الثاني "زان القزم" قاعدة من قواعد مبدأ التعاون "الكم"؛ حيث أجاب بأكثر مما ينبغي، والقصد من ذلك تأكيد انضمامه لصف محاوره "عيسى عصمان" ولقد تضمنت الترجمة نفس القصد؛ إلا أنّ كلمة اتجاه حوّرت الافتراض المسبق الموجود في الأصل.

(40)

و من بين أمثلة الملاءمة كذلك؛ مايلي:

– S’il y a des réticents, il est temps, pour eux, de rebrousser chemin. Il ne s’agit pas d’une randonnée, je vous préviens. **Nous avons de fortes chances d’y laisser des plumes**.

– Avançons, ordonne Mourad exaspéré. Nous ne sommes pas des **poules mouillées**. (p. 188)

– إذا وجد مترددون بينكم، فهذا وقت الانسحاب. لا يتعلق الأمر بنزهة. إنني أحذركم. **يوجد احتمال كبير أن نقع في مصيدة لا يخرج منها الكثير منا سالمين.**

– قال مراد حانقا: إلى الأمام سر. **لسنا أرانب.** (ص.215)

لقد نقل المترجم المعنى الضمني الموجود في النص الأصل" Nous avons de fortes chances d'y laisser des plumes" ولم ينقلها نقلا حرفيا في قوله: "يوجد احتمال كبير أن نقع في مصيدة لا يخرج منها الكثير منا سالمين"؛ فقام بنقل القصد الذي تضمنه أما العبارة "poules mouillées" التي تعد كناية عن الجبن والارتعاد من الخوف التي استعملها "مراد" ليؤكد أنهم ليسوا جبناء ولن يخافوا أحدا، وترجمت بـ "لسنا أرانب" بدل الترجمة الحرفية كونها تفي بالغرض؛ وتلائم الثقافة الشعبية المتداولة المتمثلة في مناداة الجبان بالأرنب الذي يخاف ويختبئ.

(41)

يحدث أن تتغير صيغة أفعال الكلام المباشرة؛ فتتغير معها القوة الإنجازية كما هو الحال في الملفوظ التالي:

– C'est la désolation, fait remarquer Houari. (p. 189)

قال هواري مندهشا: – يا له من دمار ... (ص. 216)

فالقوة الإنجازية لفعل الكلام المباشر في اللغة الفرنسية تمثلت في التقرير والإخبار أما في اللفظ المترجم؛ فتعبر عن قصد مختلف تمثل في الدهشة والتحسر معتمدا في ذلك أسلوب التعجب إضافة إلى استعماله وصفا لحال المتلفظ "مندهشا".

(42)

ينطوي هذا الجزء من آخر حوار لـ"داكتيلو" مع "تاج" على مقاصد تفيد التهديد والتهكم:

1) **Que fais-tu dans le noir ,monsieur le lettré?**

2) **Je m'initie à la nuit éternelle et au deuil de mes amis.**
3) Qu'est-ce qui te fait croire qu'on te veut du mal?
4) On n'entre pas de cette façon chez ceux qu'on chérit.

Tej ricane.

5) **Tu as tapé dans le mille**. Le chargé des enfers a besoin d'un secrétaire. Il m'envoie te recruter ... (p.199)

1)**ماذا تفعل في الظلام أيها المتعلّم؟**

2)**أتدرب على الليلة الأبدية وعلى حداد الأصدقاء.**

3)ومن قال لك إننا نريد بك شرّا؟

4)لا ندخل بهذه الطريقة عند اللذين نعزهم.

قهقه تاج.

5)**لقد وضعت إصبعك على الدارئة**. إن المكلف بجهنم يحتاج إلى كاتب. بعثني لتوظيفك. (...) (ص. 228-229)

تمثلت القوة الإنجازية للفعل الكلامي غير المباشر المعبّر عنه في الملفوظ (1) في السخرية من متعلّم يجلس في الظلام، كون التعلّم يرمز إلى النور في أصله؛ فعمد أن يتفوه بهذا الكلام لينجح في إيصال قصده، ونتج عن الملفوظ (2) استلزام حواري نموذجي يمكن إبراز قصديته باللجوء إلى الاستدلال المباشر؛[1] قصد فيه "داكتيلو" أنّ أجله قد حان وتم التعبير عن نفس القصد في الترجمة.

[1] ينظر: العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني –من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها–، دار الأمان، الرباط، ط. 1، 2011، ص. 133.

تضمن الملفوظ (3) قوة إنجازية لفعل كلامي غير مباشر تمثل في الإخبار وبذلك خرج الإنشاء عن أصله ليعبر عن قوة إنجازية غير التي توحي بها الصيغة الصورية وقد تضمنت الترجمة الحرفية للعبارة نفس القوة. ويشير الملفوظ (4) إلى افتراض مفاده: "طريقة دخولك إلى منزلي لا توحي أنك تعزّني؛ وبالتالي فأنت تريد بي شرا" وقد تضمنت الترجمة الحرفية للملفوظ نفس الافتراض، وبالتالي توخى نفس القصد.

تعد الجملة "Tu as tapé dans le mille" في الملفوظ (5) من التعابير المستعملة في التداول اللساني الفرنسي؛ يُقصد بها في هذا السياق " فهمت بالضبط ما جئت لأجله" وقد نقلها المترجم إلى اللغة العربية محافظا على نفس القيمة التداولية مراعيا عنصر الملاءمة بالنسبة للقارئ العربي، كما نتج عن بقية القول في الملفوظ (5) استلزام حواري من خلال انتهاك قاعدة الكيف؛ والقصد منه التهكم والوعيد، وبالاعتماد على الاستدلال المباشر يمكن أن نتوصل إلى قصد هذا الملفوظ؛ الذي يفضي إلى أن المتلفظ يهدد بالقتل.

(43)

وفي تتمة التخاطب بين المتحاورين:

1) Tes lectures ne t’ont pas **avancé** à grand-chose, finalement.
2) Ça dépend de quel côté on veut **progresser**.
3) Pourquoi tu ne dis rien ? le persécute Zane. D’habitude, **tu as la langue bien pendue**. ...
4) J’ai horreur des bouquins, Dactylo. Qu’ils soient écrits par des poètes ou par des imams, **ils me mettent invariablement en boule**. (pp. 200-201)

1) **في نهاية المطاف لم تنفعك قراءاتك كثيرا.**

2) إن الأمر يخضع إلى الجهة التي نريد أن **نتقدم** باتجاهها.

خاطبه زان بفظاظة قائلا:

3) لماذا لا تقول شيئا؟ في العادة، **لسانك أطول من لسان عجوز شمطاء...**
4) أنا أكره جميع الكتب يا داكتيلو، سواء تلك الي كتبها الشعراء أو الأئمة. **فإنها تقلقني.**
(ص. 229 إلى ص. 231)

لقد انتهك "داكتيلو" في الملفوظ (2) قاعدة الكيف؛ فنتج استلزام حواري يفيد التشكيك في قول "تاج"، كما تعود العلاقة التداولية القائمة بين المتحاورين إلى انسجام هذا الملفوظ مع سابقه الملفوظ (1) الذي حققته كلمتي "progresser" و"avancé" المترادفتين لكن الترجمة العربية لم تحقق نفس التكافؤ التداولي، ولا يمكن أن نجد علاقة رابطة بين الملفوظين " في نهاية المطاف لم تنفعك قراءاتك كثيرا" و" إن الأمر يخضع إلى الجهة التي نريد أن نتقدم باتجاهها".

إن نقل المقاصد في الترجمة ينبني على تحقيق التكافؤ التداولي والذي يعتمد بدوره على عنصر الملاءمة، فإن لم يكن النص ملائما للقارئ في اللغة الهدف لا يمكن أن تنشأ نفس العلاقة التداولية، ولا يتحقق نفس القصد. ولقد قام المترجم بنقل العبارة الموضحة في الملفوظ (3) المتداولة في اللغة الفرنسية، بمقابل متداول في اللسان العربي "لسانك أطول من لسان عجوز شمطاء"، وعبارة "ils me mettent invariablement en boule" في الملفوظ (4) بـ "فإنها تقلقني"، فنقل بذلك المعنى لا اللفظ للحفاظ على القصد المتوخى في الأصل؛ وبالتالي إنجاح عملية التواصل.

(44)

في آخر مقطع من الرواية، دار حوار بين "تاج عصمان" و"زان القزم" احتوى استلزامات حوارية تضمنت مقاصد ضمنية:

1) Sais-tu pourquoi les nains sont petits, Tej ? **C’est parce qu’ils passent plus de temps à ruser qu’à pousser**.. (…) Tu es mort, Tej. **Tu commences déjà à sentir mauvais**.
2) Qu’as-tu l’intention de faire?
3) Ta tête est mise à prix. **Il me faut empocher la prime**, c’est la moindre des choses. Le reste va s’enclencher tout seul. Demain, il n’y aura qu’un seul nom dans la bouche des gens : Zane, l’héroïque Zane, le tombeur d’Osmane Tej Ed Dine, calife de l’Apocalypse.
4) Je te croyais de mon côté.
5) On est en démocratie, chéri: chacun se doit de défendre ses intérêts. (pp.221-222)

1) أتعرف لماذا الأقزام صغار، يا تاج؟ **لأنهم يقضون معظم أوقاتهم في المكر والحيلة عوضا عن الدفع** (...) أنت ميت يا تاج. **بدأت الروائح النتنة تنبعث من جثتك.**
2) ماذا تنوي فعله؟
3) إن رأسك مطلوب مقابل **مكافأة ضخمة. يجب أن آخذها**، هذا أقل عرفان تجاه الأصدقاء. أما الباقي فيتتالى دون عناء. غدا لن يكون إلا اسم واحد على جميع الألسنة: زان، البطل زان، زان الذي قضى على عصمان تاج الدين، خليفة القيامة.
4) حسبتك من جهتي.
5) نحن في بلدي ديمقراطي يا حبيبي: على كل واحد أن يدافع عن مصالحه. (ص.254)

يشير الملفوظ "C’est parce qu’ils passent plus de temps à ruser qu’à pousser" إلى أنّ "زان" كان يخطط من البداية لأمر ماكر، والعلاقة المنطقية السببية القائمة بين هذا الملفوظ والاستفهام الذي سبقه يمكن الاستدلال عليها بكلمة "pousser" التي يقابلها الفعل "ينمو" في العربية، أما في الترجمة؛ فلا يمكن رصد هذا القصد، لأنّ ترجمة هذه كلمة

بـ "دفع" جعل من الصعب إنشاء علاقة استدلالية بين الملفوظين؛ وبالتالي لم يتمكن إلى حد ما من إيصال القصد.

لقد قام "زان" بانتهاك قاعدة "الكم" في الملفوظ (3) مما نتج عنه استلزام حواريّ فلم يصرح بقصده بشكل مباشر انطلاقا من المعطيات الظاهرة؛ فأخذ الفدية يعني أنه سيسلمه. وقام بانتهاك قاعدة العلاقة في الملفوظ الأخير، وترتب عنه استلزام حواريّ تمثل في "النفي".

من خلال هذ التحليل؛ فإن رواية "خرفان المولى" تحمل في ثناياها وصفا دقيقا لجزءٍ من كلٍّ يحترق، حيث صوّر بعناية وذكاء ما حدث في قرية صغيرة قاصدا بها كل الجزائر التي كانت ميدان الطقوس طوال عشرية سوداء قُدِّم خلالها الكثير من الأرواح كقرابين لمصالح عليا ومن أجل تصفية حسابات لجماعات تدعي التدين في حين لا صلة لها بديننا لا تزال آثار تلك الحقبة توجع من عايشها، وقد أحسن "ياسمينة خضرا" تصوير الأحداث إبانها لترسم وتوضح معالمها ومدى بشاعتها لترسخ في الأذهان.

أحيانا قد لا يضاهي النص المترجم نفس درجة النص الأصلي في التأثير إلا أنّ ترجمة "ساري محمد" لهذه الرواية كانت قريبة جدا من مستوى النص الأصل فقد نجح إلى حد ما في نقل مقاصد النص حسبما يناسب القارئ العربي، وبالأخص الجزائري.

خاتمة

تخزّن الآداب في طيّاتها إرثا ثقافيا عريقا وتقوم بالحفاظ عليه ونقله عبر الأزمان وجاءت الترجمة لتحيك نسيج الثقافات المنتشرة في ربوع المعمورة بشكل متكامل؛ فتقوم بإخراج المجتمعات والشعوب من دائرة الانعزال، وتجسر الهوة العميقة الفاصلة بينها التي سبّبها اختلاف الألسنة. وقد استقطب هذا الأمر اهتمام المنظرين والمترجمين؛ فأولوا العناية بكل ما يتعلّق بالترجمة لا سيما وأنها تلاقحت مع العلوم الأخرى وبالأخص اللسانيات التي تربطها بها علاقة تأثير وتأثر، فكل تطور يطرأ على اللسانيات يؤثر في الترجمة لأنّ مجال اهتمامهما واحد يتمثل في "اللغة". ومن خلال الدراسة التي أجريتها والتي جمعت الترجمة الأدبية باللسانيات التداولية خلصت إلى جملة من النتائج المتمثلة فيما يلي.

- لا تتأتّى صعوبة ترجمة النص الأدبي من تعقيد بنيته وجمال مبناه وعمق معناه وإنما لكونه بنيانا حيويا متكاملا أنتجه الكاتب استجابة لمقاصده، ولا يقتصر دور المترجم في نقل هذه البنى؛ بل حريّ به أن ينقل التركيب والدلالة ويحرص على أن يرقى النص المترجم إلى نفس أسلوب الأصل؛ محافظا على قصديته ولزوم استشعار جماليته الأصلية وقد تعددت السبل واختلفت الطرائق التي استُمِدَّت من اللسانيات لتصب كلها في اتجاه واحد وإن اختلفت المفاهيم؛ وهو النقل الأمين للنص الأصلي؛ الذي يجعل النص الأدبي المترجم يرقى لنفس أهمية النص الأصلي.

- استقت الترجمة طرائقها من مشارب اللسانيات بجميع فروعها؛ بدءا من اللسانيات التقليدية وصولا إلى التداولية التي وسّعت إطار بحثها، فأقحمت المتلفظ (أو الكاتب) في دراستها باعتبار أنّ الخطاب الذي ينتجه تحكمه جملة من المقاصد؛ التي يتوجب على المترجم مراعاتها أثناء نقل النص إلى اللغة الهدف. وتعرّف القصدية على أنها تلك الحالة الذهنية التي توجه المتكلم أو الكاتب في اختيار العبارات اللغوية المناسبة للأغراض المترتبة في ذهنه والتي من شأنها تحفيز العملية التواصلية، وعليه فإن اللغة هي وليدة القصدية.

– تهتم التداولية بدراسة المقاصد المتوخاة في النص، وقد انبنت على أسس وكفاءات لا يمكن للتحليل التداولي أن يقوم دون الارتكاز عليها، أولها البنية اللغوية التي تعدّ المنطلق لكل تأويل؛ إذ يتم من خلالها فك مغاليق الكلام استنادا على البنى التركيبية للملفوظات إضافة إلى الكفاءة الموسوعية التي تشتمل على المعارف القبيلة المترسخة في ذهن المتلقي كما أن للعملية الاستدلالية التي نالت قسطا من الاهتمام عند التداوليين فضل في تأويل الخطاب؛ انطلاقا من ركائز لغوية تعد من أساسيات الفهم والتأويل، فالمترجم ملزم بالحفاظ على العلاقة المنطقية القائمة بين العناصر اللغوية التي تؤدي بشكل تسلسلي إلى الوصول إلى المضمر.

– تعد المفاهيم التداولية التي يرتكز عليها الاستعمال اللغوي مفاتيح تحليلية للمقاصد التي يُلزَم على المترجم نقلها بأمانة، ويعد السياق أهمها؛ فهو لا يشتمل على العناصر اللغوية فحسب، بل يتعدى ذلك ليشتمل العناصر الفاعلية في الحدث الكلامي إضافة إلى الملابسات والظروف التي تحيط به؛ فلا يمكن تأويل أي ملفوظ بشكل مجرد عن سياقه الذي استُعمِل فيه، كما فالحمولة الثقافية والقيم الاجتماعية وغيرها متباينة بين متلقّي اللغتين فعلى المترجم مراعاة هذا التباين أثناء عملية الترجمة، وبالتالي فإن مراعاة السياق بنوعيه (اللغوي وغير اللغوي) يساعد على إنجاح نقل النص حسب أفق متلقيه الهدف دون الإخلال بمقصدية التركيب الأصلي.

ومن خلال الدراسة التقابلية التي أجريتها مستندة خلالها على جوانب التحليل التداولي للخطاب في البحث، توصلت إلى جملة من الاستنتاجات؛ المتمثلة فيما يلي:

– تتوضح العلاقة الوثيقة بين اللسانيات التداولية والترجمة؛ من خلال الاهتمام بالبعد التداولي للملفوظات أثناء العملية الترجمية الذي يسمح بتحقيق نفس الأثر الذي حققه النص الأصلي، لا سيما أنه يتعلق بالتفاعل التخاطبي بين أطراف العملية التواصلية؛ وعليه فإن التكافؤ التداولي يعمل استنادا على مبدأ الملاءمة على بناء علاقة تواصلية وتفاعلية

ناجحة بين النص والمتلقي الهدف؛ مما يعني تحقيق القصد الذي أراد الكاتب الأصلي إيصاله، وهذا من منطلق أنّ اللغة ظاهرة مرتبطة أشد الارتباط بالخلفية الثقافية والاجتماعية والنفسية لمستعمليها، ويعد نقل النص بما لا يلائم المتلقي الهدف تقويضا للعلاقة التداولية القائمة فيه.

– تنصب جوانب البحث التداولي جميعها في مصب واحد؛ فالهدف من عملية التأويل التي تقوم بها هي إدراك القصد الحقيقي من الخطاب، وباستعمال المبادئ التداولية وقواعد التخاطب –مبدأ التعاون ومبدأ الملاءمة– في الدراسة التقابلية للغتين الأصل والهدف يمكن تطويق المقاصد واستخراجها وتحديد مدى تغيرها أو انحرافها.

– تشكل بعض الكلمات مفاتيح دالة على الافتراضات المسبقة نحو: مجددا، أيضا وغيرهما، وترجمتها السليمة تضمن النقل السليم للافتراضات التي تنطوي عليها، وهذا ما توضح في الدراسة التطبيقية، وبالتالي ينتج عنه نقل سليم وناجح للمقاصد الضمنية؛ فإنتاج ترجمة تتضمن نفس الافتراض في اللغة الهدف يعني أن المترجم قد حافظ على القصد المضمر.

– يشتمل النص الأدبي؛ لا سيما الروائي، على جانب حواري قد يأخذ حصة الأسد أحيانا في الرواية؛ حيث يقوم الراوي بنسج علاقة دينامية بين أطرافه، وغالبا ما تحتوي الحوارات على استلزامات يمكن تقصيها باعتماد قوانين التخاطب التي اشتمل البحث على اثنين منها مبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه لغرايس، ومبدأ الملاءمة الذي أرسى دعائمه سبربر وويلسون؛ فانتهاك قواعد التعاون ينقل الخطاب إلى مستوى الإضمار، وقد ذكرت عدة أمثلة عم ذلك في الجزء التطبيقي من الدراسة، ويمكن القول إنّ قوانين الخطاب يمكن أن تشكل منهجا لنقد الترجمات وتمييز الأمينة منه عن غيرها؛ على أساس المقاصد المتوخّاة من الكلام.

– يعدّ النص الأدبي عبارة عن تركيب بحمولة إنجازية تُستمَدّ من أفعال الكلام وكما ذكرت؛ فإن الأفعال الكلامية تتغذى من القصدية، فالقصد هو الذي يترتب على شكل تركيب كلامي، ولأفعال الكلام غير المباشرة قوى إنجازية متضمنة يمكن الوصول إليها باستعمال عناصر السياق، ولا تتغير تلك القوى لأفعال الكلام غير المباشرة إن تم تغيير البنية من الإنشاء إلى الخبر أو العكس؛ فإن تغيرت تسبب تحويرا للقصد الأصلي، ولذلك المترجم يهتم بها في كل زاوية من زوايا النص أثناء النقل كونها تشكل القصد الإجمالي له.

– إنّ تطبيق مبادئ التحليل التداولي قد يسمح بتقصي مقاصد الكاتب الكامنة في ثنايا النص، والتي تعتبر الحافز الذي دفع الكاتب لإنتاج نصه، ويمكن لها أن تشكل ضوابط لترجمة سليمة، فالأصل في الترجمة هو الأمانة التي تعني بالضرورة الحفاظ على القصد الذي كُتِب من أجله النص الأصلي. وقد تبّين أن مترجم رواية خرفان المولى قد حافظ إلى حد ما على القصد الكلي والتوجه العام للكاتب الأصلي رغم انزياحها في بعض المواضع عن أصلها.

حاولت من خلال هذه الدراسة انتهاج طريقة واضحة المعالم مستقاة من الدرس اللساني الحديث، من أجل اكتناه أسرار الخطاب الأدبي ومحاولة الولوج إلى ذهن الكاتب (أو المتلفظ) لكشف مقاصده. والغاية الأساسية التي بلغتها من خلال هذا البحث تمثلت في إيضاح أنه يمكن اعتبار القصدية التداولية معيارا لأمانة النص؛ فهي التي توجه الحدث الكلامي، وما الملفوظات سوى بلورة للمقاصد. ولقد تطرقت في هذا البحث إلى بعض جوانب التداولية فقط، وذلك لشساعة المجال التداولي الذي يستحيل التدقيق في جزئياته المتفرعة لتجنب التيه وتبسيط الآليات الأساسية التي تساعد المترجم في تحديد المقاصد بهدف النقل الأمين للأصل.

وفي الختام، فإنّ هذا العمل ما هو إلّا جهدٌ متواضع قدّمت فيه ما في استطاعتي والفضلُ لله بدءًا وختاما؛ وآخر دعواي أنِ الحمدُ لله ربّ العالمين.

ملحق

أولا: الرواية الجزائرية باللسان الفرنسي

1- أهمية الرواية

الرواية جنس متفرد ومميز عن باقي الأجناس الأدبية من قصة ومسرح وغيرهما فهي فن من فنون الأدب النثري، وتتأسس على فكرة مجردة يحوّلها الكاتب إلى صورة مشحونة بالحياة بشخصياتها وأحداثها؛ يقول عبد المالك مرتاض: « وأما كون الرواية متفردة بذاتها؛ فلأنها ليست، فعلا وحقا، أيا من هذه الأجناس الأدبية مجتمعة أو منجمة فهي طويلة الحجم، ولكن دون طول حجم الملحمة غالبا؛ وهي غنية بالعمل اللغوي، [...] فتقترب من الملحمة دون أن تكونها بالفعل حيث الشخصيات في الملحمة أبطال وفي الرواية كائنات عادية »[1]؛ إذ يختار المؤلف من الشخصيات ما يلائم الأدوار التي يرسمها في مخيلته، ويسرد أحداثا كثيرة وفق مخطط ينظمها زمنيا وسببيا؛ فكلّ حدث يتصل بطريقة أو بأخرى بحدث آخر.

من السّمات البارزة للرواية بنيتها المعقدة كتداخل الوصف والسرد؛ وهما من المكونات الأساسية في بنائها، فالوصف يرسم في ذهن القارئ المكان والخلفية التي تدور فيها أحداثها ويعطي لكل عنصر من عناصر هذه الخلفية حيزا يشغله؛ فتتوضح الصورة في مخيلة القارئ بكل تفاصيلها. أما السرد؛ فهو العامل الذي يضفي على الرواية ديناميكية، ويعدّ « الهيئة التـي تتشـكل بهـا الحكايـة المركزيـة المتفرعـة عنهـا حكايـات أخـرى فـي العمـل الروائـي»[2] فيختار المؤلف ما يلزم لنسج تلك الحكايات بطريقة فنية معقدة لكنها متناسقة، يقول مرتاض

---

[1] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية –بحث في تقنيات السرد–، عالم المعرفة، الكويت، 1998 ص. 13.

[2] المرجع نفسه، ص. 27.

واصفا: « فالرواية، من حيث هي جنس أدبي راق ذات بنية شديدة التعقيد، متراكبة التشكيل تتلاحم فيما بينها وتتضافر؛ لتشكل في نهاية المطاف شكلا أدبيا جميلا يعتزي إلى هذا الجنس الحظي»[1].

لقد ازدهرت الرواية في الآونة الأخيرة وذاع صيتها، وأصبحت الجنس الأدبي المتداول بكثرة؛ كونها تحمل في طياتها ضالة القراء من مغامرة وحب ومتعة وثقافة بالإضافة إلى أنها تنسج خيوط العوالم الحياتية المثالية التي عجزوا عن عيشها في الواقع ومنهم من وجدها وجها جريئا في وصف الحقائق المتعلقة بالمجتمعات وانعكاسا للواقع.

لقد تخلصت الرواية من القالب الكلاسيكي والقيود التقليدية؛ فعلى سبيل المثال فإنّ « الخصائص التي كانت تجمع بين الرواية التاريخية والملحمة لم تعد قائمة حيث إنّ بنية الرواية تطورت تطورا مذهلا فاغتدت تدمر البطل الذي كانت الملحمة التاريخية والرواية التاريخية تقدسانه تقديسا شديدا »[2]؛ كانت الشخصية الرئيسة (البطل شخص واحد) فيما مضى هي محور الأحداث ومحرك الرواية بحد ذاتها؛ حيث بالغ الروائيون في رسمها وإعلاء مكانتها، لكن الرواية الحديثة غدت أكثر مرونة من ذي قبل وأكثر قابلية للخروج عن المألوف.

أضحت الرواية أكثر واقعية مما مضى؛ فهي صورة تعكس مختلف أوجه الحياة، فغالبا ما نجد انعكاسا لجانب منّا فيما نقرأ؛ فالرواية شديدة التلاحم مع الواقع، وفي ذلك يقول رينيه وليك وأوستن وارن « هذا العالم أو الكون الذي يختص به القاص، هذا النسق أو البناء أو

---

[1] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية –بحث في تقنيات السرد–، ص. 27.

[2] المرجع نفسه، ص. 26.

الكيان العضوي والذي يتضمن الحبكة والشخوص وخلفية الأحداث والنظرة إلى العالم والنغمة السائدة كل ذلك هو ما ينبغي أن نتفحصه عندما نحاول أن نقارن القصة بالحياة »[1].

وليس من باب المبالغة في شيء القول إنّ الرواية بمختلف أنواعها أصبحت ضرورة لا يستغنى عنها؛ فضلا عن كونها مقوما من مقومات الثقافة ورمزا من رموز الرقي الفكري ويبرر كونديرا ميلان ذلك قائلا: « فإذا كان سبب وجود الرواية يقوم على جعل "عالم الحياة" تحت إنارة مستمرة وعلى حمايتنا ضد "نسيان الكائن"؛ أوَ لا يغدو وجود الرواية اليوم أشد ضرورة من أي وقت مضى؟»[2].

2- نشأة ومكانة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

للرواية الجزائرية حضور عالمي معتبر، تغذت منذ ظهورها من مشارب عدة، وتيارات مختلفة؛ أبرزها التيار الواقعي الذي « وجد فيه الكتاب على اختلاف ميولهم وثقافاتهم مجالا للتعبير عن واقع البلد بما فيه من متناقضات وعزلة وحرمان، وما يكثر فيه من دعاوي الحرية والوطنية والديمقراطية والرخاء؛ في نفس الوقت الذي كان فيه الشعب يعاني من الشقاء المزمن والقيود الثقيلة »[3]، ولقد نتج عن هذا التيار فرعان؛ الأول عربي اللغة والثاني فرنسي اللسان كلاهما تعاطى مع واقع الجزائر ومع عقليات المجتمع الجزائري.

لقد نالت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية نصيبا من الشهرة، ورقت إلى مستوى العالمية بجماليتها وخصائصها، وكانت صدى للمعاناة والمأساة التي عاشتها الجزائر إبان

---

[1] رينيه وليك وأوستن وارن، نظرية الأدب، تر/ عادل سلامة، دار المريخ، الرياض، 1992، ص. 294.

[2] ميلان كونديرا، فن الرواية، تر/ بدر الدين عردوكي، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط. 1 1999، ص. 24.

[3] أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط. 5، 2007 ص. 29.

فترة الاستعمار، ولأن المستعمر ضيّق الخناق على الهوية الجزائرية وحاول محو معالمها بكل ما أوتي من جبروت؛ فقد وجد المؤلفون الجزائريون في اللغة الفرنسية متنفسا وسبيلا وحيدا في تصوير الواقع الجزائري المهترئ، فاتخذوها وسيلة ونفخوا فيها من روح الهوية الجزائرية.

رغم وجود كتابات باللغة الفرنسية قبل الخمسينات؛ مثل رواية "مريم بين النخيل" لمحمد ولد الشيخ؛ الصادرة في ثلاثينيات القرن الماضي، ورواية "زهراء زوجة المنجمي" (Zohra, la femme du mineur) الصادرة سنة 1925؛ والتي « تعد بحق باكورة الأعمال الروائية للكتاب الجزائريين باللغة الفرنسية »[1]، إلا أنها لم تحض بالشهرة التي حظيت بها تلك الأعمال الروائية التي بدأت بالظهور الفعلي في خمسينات القرن الماضي؛ على يد جزائريين لم ينسلخوا عن جزائريتهم رغم تعبيرهم بلسان أجنبي، ولم يعتبروا هذا الأمر انتقاصا من هويتهم؛ بل كانت في نظرهم مجرد لغة أجادوا استعمالها بحكم خلفيتهم التعليمية باللغة الفرنسية، ولا أدلّ على ذلك من رواية "ابن الفقير" لمولود فرعون الصادرة سنة 1950 وروايته التي أصدرها عام 1953 المعنونة بـ: "الأرض والدم"، ثم رواية "الدروب الوعرة" سنة 1957، ونشر محمد ديب ثلاثيته الشهيرة التي حصدت شهرة واسعة "الدار الكبيرة" عام 1952، ثم "الحريق" عام 1954، ليصدر بعدها رواية "النول" عام 1957، دون نسيان البصمة التي تركها كاتب ياسين بمؤلفاته التي لا تقل أهمية عمّا سبق؛ أشهرها "نجمة" الصادرة سنة 1956. وغيرهم من الكتّاب الجزائريين الذين حاولوا التأريخ للواقع الجزائري المعاش آنذاك عن طريق الرواية؛ فتركوا بذلك إرثا أدبيا يؤرخ تاريخ شعب بلغة جلاده.

---

[1] أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي –نشأته وتطوره وقضاياه–، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 2007، ص. 96.

لقد كانت اللغة الفرنسية المنفذ الوحيد للتعبير بحكم الظروف آنذاك، ويرى مالك حداد أنّ الرواية المكتوبة باللسان الفرنسي في هذه الفترة « ناتج عن مجرد ظرف تاريخي طارئ أوجده الاحتلال الفرنسي للجزائر، وهو لا محالة زائل مع الوقت »[1]؛ فمالك حداد ينظر إلى الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية على أنه انتقالي، لا يلبث أن ينتهي مع انتهاء الاستعمار؛ لتستعيد اللغة العربية مكانتها الطبيعية كونها اللغة الرسمية.

في ظل تأخر ظهور الرواية المكتوبة باللغة العربية بشكل فعلي؛ إلى غاية السبعينيات على يد الطاهر وطار برائعته المحبوكة بفنية وإبداع "اللاز"، احتفظت الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية بمكانتها؛ لا سيما أنّ معظم القراء ومثقفي تلك الفترة بالجزائر كانوا فرنسيي اللسان ما ساعد على رواجها، واستمرت في تصوير الحياة المزرية للمجتمع الهش الذي خلفة الاستعمار الفرنسي، ويشكل هؤلاء الكتاب الفئة الثانية التي ظهرت بعد الاستقلال « وهم الكتاب الذين يعيشون في الجزائر ويكتبون عن الجزائر باللغة الفرنسية، فينبغي أن ينظر –من وجهة نظر منطقية– إلى مسألة الكتابة بهذه اللغة عندهم على أنها موقف سياسي منهم، ومسألة اختيار واع ومقصود، قبل أن يكون اختيارا فنيا، لأن هذا الجيل كانت له فرصة – على عكس الجيل السابق– لتعلم اللغة العربية »[2].

لقد كان العامل السياسي الداخلي بعد الاستقلال عاملا مساهما في تعبئة الحناجر وتحريك الأقلام الأدبية، وظهر في منتصف ستينات القرن الماضي التوجه السياسي النقدي للكتاب الجزائريين باللسان الفرنسي؛ مثل مراد بوربون وروايتة "المؤذن" الصادرة سنة 1968 ورشيد بوجدرة وروايتية "التطليق" 1969، و"ضربة شمس" 1972، ورشيد ميموني برواية

---

[1] أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي –نشأته وتطوره وقضاياه –، ص. 160.

[2] المرجع نفسه، ص. 173.

"النهر المتحول" الصادرة سنة 1982، و"طومبيزا" في 1984 وغيرها من الروايات الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية التي لا تزال تصدر إلى يومنا هذا.

3- خصائص الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية:

تعدّ "الواقعية" أهم خاصية مميزة للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية؛ ففي الفترة الاستعمارية وحتى في الفترة القصيرة التي تلتها كانت الرواية بالنسبة لهؤلاء الكتاب وسيلة لنقل صورة واقع الجزائر المرير للعالم، ولإبداء رفضهم للأوضاع المزرية ولفضح سياسة المستعمر الشرسة والتعسفية، وكانت مواقفهم تظهر بشكل جليّ في مواضع كثيرة في كتاباتهم، وفي فلتات ألسن شخصيات رواياتهم؛ فقد أورد سعد الله أبو القاسم مقطعا من رواية "نجمة" التي صور فيها "كاتب ياسين" المظالم التي كانت سائدة في زمن الاستعمار؛ قائلا:«عشرون ألف من تجار الكروم يتقاسمون الأرباح بينما نشرب نحن الماء ... ونحن نركب الحمير رغم أن موارد الحديد في الونزة تنتج أجود أنواع الصلب لصناعة الطائرات النفاثة"؛ ولكن ياسين يوجه غضبه أيضا إلى مواطنيه الذين باعوا أنفسهم إلى المنتصرين لكي يخدموا أغراضا أنانية، فقد كتب على لسان أحد أبطاله: « حين غادر آباؤكم الجبناء القبيلة ليخدموا الفرنسيين كانوا يتوقعون أن يعودوا بعد ذلك أقوياء كما كان يقال، ليكن ذلك؛ ولكن أين قوتكم الآن؟»[1].

وما مكن الرواية الجزائرية أن تحتل تلك المكانة المعتبرة هو عامل اطلاع الكتاب الجزائريين للواقع المعيش في الجزائر عن قرب ومحاكاتهم له؛ فكانوا « أقرب إلى أسس الحياة ومشاكلها اليومية من زملائهم الفرنسيين (...) حيث إنهم لم يمارسوا الأدب إلا بعد التجارب التي اقتنوها في مختلف الحرف؛ لذلك جاءت موضوعاتهم الأدبية تعبّر

[1] أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص. 103.

عن خبرة شخصية بالمشاكل اليومية. وهكذا نجد كاتب ياسين، مثلا، احترف الصحافة والعمل في الموانئ والزراعة قبل أن يمارس الأدب، أما محمد ديب فقد اشتغل محاسبا ونساجا ومعلما وصحفيا قبل أن يدخل ميدان الأدب »[1]؛ فمن يعيش التجربة يكون سجيّ الطبع والتفكير، وتكون كتاباته خالية من التصنع والتكلف.

ثانيا: خرفان المولى .... واقع مأساوي في قالب جمالي!

لا يزال تأثير اللغة الفرنسية على الأدب الجزائري قائما، لذا بقيت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية قائمة إلى اليوم، ولازال التيار الواقعي أيضا بتأثيره؛ لا سيما ذاك الواقع المثقل بالخيبات والفواجع الذي تغذت عليه معظم الكتابات الجزائرية، كتلك التي أصدرها محمد مولسهول (يسمينة خضرا)، والتي انفجرت من رحم الأزمة الجزائرية واقتاتت من فتات الحياة اليومية لشعب غالبيته مغيّبة عن الواقع ومخدرة بسموم الجهل.

1- التعريف بكاتب الرواية:

محمد مولسهول أو ياسمينة خضرا كاتب جزائري بلسان فرنسي، تناول بكل جرأة في رواياته موضوعات أخذ بعضها منحى سياسيا؛ استثمر فيها رصيده المكتسب من حياته الحافلة بالتجارب العسكرية، لا سيما خلال الأزمة التي عصفت بالجزائر في تسعينات القرن الماضي، محاولا تجسيد الصراع القائم في هذه الفترة؛ بعد أن ظن الجميع أن زمن الرعب والقتال قد ولّى.

ولد محمد مولسهول في العاشر من جانفي 1955 بالقنادسة في ولاية بشار، انضم إلى مدرسة أشبال الثورة العسكرية وبعد تخرجه منها انخرط في المؤسسة العسكرية، وبدأ

---

[1] أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، ص. 96.

بالكتابة مستعيرا اسم زوجته؛ ليفصح عن هويته الحقيقية سنة 2001 في السيرة الذاتية "الكاتب"، وبعد مُضي 36 سنة من الخدمة اعتزل الحياة العسكرية ليستقر بفرنسا ويصب كامل اهتمامه على الكتابة.

بدأ مسيرته الأدبية بمجموعة قصصية تحت عنوان "حورية" نُشرت بعد أحد عشر عاما، وقال في هذا الشأن: « كتبت القصة القصيرة في البداية لأن النفس الطويل كان ينقصني »[1]، ولقد صدرت كل رواياته باللغة الفرنسية وترجمت إلى عدة لغات؛ ويبرر ذلك بقوله: « الكتابة الأدبية لم تكن يوما مسألة لغة وإنما مسألة فعل »[2]. ولقد كان بعض من رواياته مادة خاما لأفلام سنيمائية مثل "فضل الليل على النهار" و "موريتوري" و"الصدمة" .

تحصل محمد مولسهول على العديد من الجوائز؛ ففي سنة 2008 فاز بجائزة "فرانس تيليفيزيو" الأدبية عن روايته "فضل الليل على النهار"، وفي سنة 2011 منحته الأكاديمية الفرنسية جائزة الآداب "هنري غال".

*روايــاته: لقد قام يسمينة خضرا بإثراء المكتبات بعدد من الروايات هي:

- أمين Amen –1984.
- حورية Houria – 1984.
- بنت الجسر La fille du pont - 1985.
- القاهرة– خلية الموت El Kahira – Cellule de la mort – 1986.

---

[1] زهرة ديك، ياسمينة خضرا –هكذا تكلم.. هكذا كتب–، منشورات دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2013 ص.37.

[2] المرجع نفسه، ص. 190.

- من الناحية الأخرى للمدينة De l'autre côté de la ville − 1988.
- امتياز العنقاء Le privilège du phénix − 1989.
- المجنون بالمبضع Le dingue au bistouri - 1990.
- معرض الأوباش La foire des enfoirés - 1993.
- موريتوري Morituri - 1997.
- خريف الأوهام L'automne des chimères - 1998.
- أبيض مزدوج Double blanc – 1998.
- خرفان المولى Les agneaux du Seigneur – 1998.
- بم تحلم الذئاب A quoi rêvent les loups – 1999.
- الكاتب L'écrivain -2001.
- مكر الكلمات L'imposture des mots – 2002.
- سنونوات كابل Les hirondelles de Kaboul – 2002.
- القريبة كاف Cousine K – 2003.
- حصة الميت La part du mort - 2004.
- وردة البليدة La rose de Blida – 2005.
- الصدمة L'attentat – 2005.
- صفارات إنذار بغداد Les sirènes de Bagdad – 2006.
- فضل الليل على النهار Ce que le jour doit à la nuit − 2008.
- إلهة الشدائد L'Olympe des infortunes – 2010.
- المعادلة الإفريقية L'Equation Africaine – 2011.
- غناء المتوحشين Le chant des cannibales - 2012.
- الملائكة تموت من جراحنا Les anges meurent de nos blessures -2013.

- ماذا تنتظر القردة Qu’attendent les singes – 2014.
- الله لا يسكن هافانا Dieu n’habite pas la Havane – 2016.

كأيّ كاتب لم يسلم مولسهول من سهام الانتقاد ؛ فلقد قال عنه رشيد بوجدرة في حوار لمجلة أدب وفنون (عدد 1829 – 2012): « ياسمينة خضرا ليس كاتبا أصلا. هذا رأيي أعبّر عنه من منطلق كوني قارئا قبل أن أكون كاتبا... أنا لا أرى في نجاحات روايات ياسمينة خضرا سوى سحابة صيف عابرة؛ باعتبار أن الكاتب الجيد ليس بالضرورة ذاك الذي يبيع أكثر » [1]. وهذا رأي أحد الروائيين المعروفين؛ الذي يحاول الإنقاص من قيمة أعمال مولسهول مع أنها لاتقل أهمية عن الروايات الجزائرية التي تصف وتعالج الأوضاع الراهنة في فترة ما.

لقد عايش محمد مولسهول الأزمة الجزائرية وتناول بجرأة نادرة مواضيع بالغة الحساسية لتعقيدها وغموضها؛ في الوقت الذي تحاشى الكثير من الكتاب الخوض في هذا الموضوع الشائك؛ فيقول: « كل ما أقوله في كتبي هو حقيقي في قالب روائي؛ إنه نقل حرفي من الحقيقة الجزائرية »[2]، ولقد بدا هذا الأمر جليا في راوياته؛ على غرار "خرفان المولى" فيستحيل أن يكون ذاك الوصف الدقيق لوحشية بعض المشاهد في الرواية مستوحى من فراغ.

2- أبرز شخصيات الرواية:

تعد الشخصية عنصرا هاما من عناصر البناء الروائي وقدرة الكاتب على خلقها ورسمها بمهارة شرط الإبداع والفنية، وتستمد أهميتها الجوهرية من كونها محرك الأحداث

---

[1] زهرة ديك، ياسمينة خضرا –هكذا تكلم.. هكذا كتب–، ص. 177.

[2] المرجع نفسه، ص. 191-192.

والأفعال مما يعطيها مكانا محوريا فيها.

تختلف طريقة رسم الشخصيات في الرواية حسب الكاتب وطريقته في الكتابة، وتعدّ التسمية أبسطها؛ حيث يحمل اسم الشخصية دلالات عن حالتها؛ وهذا ما يسمى بالاسم الرمزي « فكل تسمية هي نوع من إضفاء الحيوي وإذكاء الحس وإعطاء الفردية »[1]، وهناك من لا يربط الشخصية بالاسم؛ فيرى عبد الملك مرتاض « أن الشخصية الروائية لا تتحدد في الغالب، بالعلامة التي تُعلم بها، ولكن بالوظيفة التي توكل إليها؛ فقد يطلق الراوي اسما جميلا جدا على شخصية شريرة جدا في عمله الروائي، نكاية في القارئ وتعتيما للأمر عليه فلا تراه يهتدي سبيل اللعبة إلا بعد انتهائه من قراءة الرواية» [2].

أحيانا يتم انتهاج طريقة مباشرة وواضحة في تقديم الشخصيات ورسم ملامحها وتحديد صفاتها، «فبعض الكتاب القدامى أمثال سكوت Scott يقدمون شخصياتهم الرئيسية بفقرة تصف بالتفصيل مظهر الشخصية الجسمي، ثم يعقبونها بفقرة تحلل الطبيعة الأخلاقية والنفسية»[3] أما ياسمينة خضرا فقد رسم شخصيات روايته بطريقة مغايرة حيث اقترن ظهور كل شخصية، توافقا مع زمن القصّ، بدلالات عن حالاتها النفسية والأخلاقية والاجتماعية.

أما عن اختيار الكاتب لشخصياته فكان على أساسين؛ الأول اجتماعي، إذ تم استنادا عليه انتقاء شخصيات تعبر عن مختلف الفئات التي تمثل التركيبة الاجتماعية للرواية والثاني واقعي، تم من خلاله الاختيار من منطلق واقعي بحت؛ ذاك الواقع الذي استقت منه الرواية أحداثها.

---

[1] رينيه وليك وأوستن وارن، نظرية الأدب، ص. 301.

[2] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية –بحث في تقنيات السرد–، ص. 87.

[3] المرجع السابق، ص. 302.

قادة هلال: شاب لم يعش الحياة التي أرادها ولم يحصل على المستقبل الذي رسمه فتنازل عن أحلامه التي لم يشأ لها القدر أن تتحقق ليعمل كمعلم للقرية، حتى إنه لم يستعد جزءا من مجد عائلته الذي سُلب منها، ولم يزده الإحباط العاطفي إلا شعورا بالهزيمة والضعف ما دفعه إلى الاحتماء تحت عباءة الشيخ عباس؛ فأرسله إلى أفغانستان ليعود بعد أشهر بفكر متطرف وعقلية انتقامية.

علال سيدهم: شاب لم تفارق ملامح الطفولة وجهه، أكثر استقرارا من أصدقائه وأكثرهم عقلانية، يعقد قرانه على سارة ابنة رئيس البلدية؛ الأمر الذي زاد من حنق قادة هلال ليدخل في صراع كبير معه.

تاج عصمان: الميكانيكي الذي وجد في الأصوليّة متنفّسا لأحقاده وغلِّه، رأى في انتمائه إلى الجماعة إمكانية محو عار أبيه الذي كان عميلا للفرنسيين، والذي بقي يلاحقه إلى أن اكتسب القوة التي أرادها؛ لكنّه تمادى في الأمر واستحوذ الشيطان على كيانه ليصبح آلة قتل وتدمير.

جعفر وهاب: شاب خامل ويائس لا يطمح لشيء في الحياة، يمثل الفئة العاطلة ويمضي جل وقته في التسكع دون عمل شيء، يرفض العمل في حقل أبيه ولا يسعى لتغيير حاله.

زان القزم: أكثر الشخصيات حقدا في الرواية، تغذى الغل بداخله على الشتائم والإهانات التي تلقاها منذ صغره، وقام بالانتقام على طريقته، لم يكن صغر حجمه رادعا لأطماعه؛ فكان واشيا ومؤجِّجا للفتنة بين طرفي النزاع، وكان ذا مكر وحيلة وكل خطواته مرسومة بدقة بالغة.

داكتيلو: الشخص الغامض مجهول الأصل الذي جاء إلى القرية بعد الاستقلال، الوحيد الذي استطاع أن يرى في بساطتها وسذاجة سكانها جمالا شدّه إليها؛ فكان مثال المثقف الفطن راجح العقل سديد الرأي الذي يحسن تقييم الأمور والحكم عليها، مافتئت أفكاره الواعية تسبب اصطدامه بالفكر الأصولي المتطرف، ولطالما أثار تعلمه غضبهم، وكأنهم يعانون من رهاب العلم، الأمر الذي جعله حجر عثرة أمامهم.

3-ملخص الرواية:

تدور أحداث الرواية في قرية غاشيمات الغارقة في الجهل والفقر؛ الذي جسده الكاتب من خلال وصفه للبيوت ذات الواجهات الخربة، معظم أفرادها غيرُ مبالين؛ بنت سطحيتهم وعفويتهم الساذجة منهم ذواتا رخوة؛ مستسلمة للحياة الروتينية التي قتلت فيهم الأمل والطموح، إلى أن نقشت في أذهانهم فكرة أن ذاك الوضع هو مبلغ الحياة، ورغم هذا كانت حياتهم في غاية البساطة والهدوء.

لقد شكل خروج الشيخ عباس عيش من السجن بداية الحدث وقلب كفة الموازين وكانت بداية ظهور الأصوليين بالقرية؛ وهم من ذوي النزعة المتطرفة والعقيدة المتزمتة التي تناصب العداء لكل من يخالفها، ونجحوا في جلب عدد من الأتباع الذين أنزلوا شيوخهم منزلة التبجيل والتقديس، وهنا حدثت المفارقة التي تمثلت في ذاك التحول المخيف اللامنطقي؛ فتغذت الأحقاد الدفينة على التطرف، وتأججت الضغائن لتُستباح دماء الأبرياء وينشب صراع بين بني الجلدة الواحدة، لا لشيء؛ فقط لأنهم قرابين فداء لمصالح عليا.

لقد كان الجـهل الثغرة التي تسلل عبرهـا التطرف ليستقـر في نفوس الضعفاء، وجاء

على لسان إحدى الشخصيات: " يوجد في داخل كل دين من الأديان التي أنزلها الله على عباده قسطٌ خاص بالشيطان، قسط صغير لكنه كافٍ لتشويه الرسالة وتزويرها وجرّ الغافلين عبر دروب الزيغ والوحشية. إن هذا القسط الصغير هو الجهل "؛ الشرك الذي

وقع تاج عصمان وقادة هلال والعديد من أبناء القرية فريسته. وتوالت الأحداث المؤلمة والمآسي في القرية واحتدم الصراع بين سكانها انتهى بمقتل علال الشرطي ومن معه أثناء البحث عن زوجته، ومقتل عيسى عصمان الذي لم يجده الاستنجاد بزان القزم نفعا بل كان من سلمه إلى الموت بيده.

4- البنية الروائية لرواية خرفان المولى:

لقد قام محمد مولسهول بنسج روايته بخليط من الوصف والحوار والسرد، وتضافرت هذه العناصر الثلاث فيها لتشكل بنية روائية متناسقة؛ فالوصف ارتبط بعنصري المكان والشخصية، ولا يمكن الاستغناء عنه في أي عمل روائي، وقد قام ياسمينة خضرا برسم مظاهر الحياة القروية ووصف الشخصيات بدقة متناهية، وقام بنسج تلك العلاقة الرابطة بين الأشخاص والأماكن، كما تطرق إلى تفاصيل دقيقة تجعل القارئ يغوص في أعماق الحياة اليومية للقرية.

كان للحوار نصيبا هاما في الرواية، قام الكاتب من خلاله بدمج القارئ مع النص وأكسب المواقف قوة التأثير والإقناع؛ لتتوضح بذلك الرؤية الدقيقة للتركيبة الاجتماعية النفسية للشخصيات، وللحوار كذلك القدرة على الكشف عن التوجهات الفكرية لها، وهو أمر مهم على الأقل في رواية خرفان المولى؛ لأنها تعالج صراعا إيديولوجيا بالدرجة الأولى فضلا عن إسهامه في التحليل النفسي للشخصيات، تغير التوجه الفكري لشخصيات الرواية لارتباطه بالبعد النفسي، فعلى سبيل المثال؛ فقد تبين من خلال الحوار الذي دار بين والدي عصمان التوجه المتعصب والتركيبة النفسية المريضة لوالدته التي دفعتها لتحريض ابنها على الهجوم على القرية.

لا يكتمل البناء الروائي إلا بعنصر السرد، الذي تقوم الرواية أساسا عليه؛ يقول

عبد الملك مرتاض: « إنها تسرد أحداثاً تسعى لأن تمثل الحقيقة، وتعكس مواقف الإنسان وتجسّد ما في العالم، أو تجسّد من شيء مما فيه على الأقل»[1]، ففي رواية خرفان المولى نقل السرد الأحداث والوقائع التي مرت بها القرية وقدمت للقارئ صورا مفصلة عنها وعن الصراع الذي دار بين الأصوليين وأفراد القرية.

لا يوجد أدنى شك أن ياسمينة خضرا قد كتب روايته بروح جزائرية، ولا يسع القارئ إلا أن يرى بوضوح معالم الحياة الاجتماعية والثقافية لقرويي الجزائر. وتتجلى مظاهر الثقافة الجزائرية في مواضع عديدة من الرواية كشفت عنها مصطلحات تعكس الهوية الثقافية الجزائرية والعقلية الساذجة للسكان القرويين ، نحو:

« Ghalia repose la cassolette fumante par terre, sort de son giron une amulette, la fait tourner sept fois par-dessus sa tête avant de la glisser sous le matelas:

-Ô Sidi Yacoub, faites que notre bru soit aussi amoureuse qu'un chatte, aussi féconde qu'une lapine et aussi fidèle qu'une chienne»[2].

« وضعت غالية الموقد الموقد الفخاري الصغير على الأرض وأخرجت من حجرها تميمة، أدارتها سبع مرات فوق رأسها قبل أن تدسّها تحت الفراش:

– يا سيدي يعقوب، اجعل عروسنا مُحبّة أكثر من قطة، خصبة أكثر من أرنبة وأوفى من كلبة»[3].

---

[1] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية –بحث في تقنيات السرد–، ص. 12.

[2] Yasmina Khadra, Les Agneaux du Seigneur, Editions SEDIA, Alger, 2007, p. 86.

[3] ياسمينة خضرا، خرفان المولى، تر. محمد ساري، سيديا للنشر، الجزائر، ط.1، 2011، ص. 95.

5- محمد ساري مترجما لخرفان المولى:

محمد ساري كاتب وروائي جزائري، له العديد من المؤلفات فضلا عن كونه مترجما كتب باللغتين العربية والفرنسية، من مؤلفاته "على جبال الظهيرة"، "السعير"، "البطاقة السحرية"، "الورم"، "الغيث"، كما نشر رواية بالفرنسية بعنوان "المتاهة"، وأصدر مؤخرا روايته بالفرنسية "les pluies d'or". لم تكن "خرفان المولى" المؤلَّف الوحيد الذي ترجمه لمحمد مولسهول؛ فقد ترجم كل من "أشباح الجحيم" و "سنونوات كابل" و "فضل الليل على النهار" وصرح قائلا: « جئت إلى ترجمة روايات ياسمينة خضرا في فترة نضج قدراتي الترجمية»[1].

يبدو جليا من خلال الترجمة أن المترجم عمل على إنتاج نص يضاهي أسلوب وقوة وتيرة النص الأصلي، ومن أجل ذلك تنوعت الأساليب والصور بين الخبر والإنشاء وبين البيان والبديع؛ لتشكل للقارئ المتلقي صورة متكاملة المعالم.

لم تشكل العناصر الثقافية لهذا النص الروائي عائقا كبيرا أمام المترجم، لأن الكاتب الأصلي والمتلقي الهدف؛ لهما نفس الانتماء الثقافي، وغالبا ما استعمل كلمات تتلاءم مع المتلقي الجزائري بشكل خاص؛ مثل ترجمته "Alger" بـ "الدزاير" و "conjurateur" بـ "الطالب"، ووردت عدة كلمات مقترضة من اللغة العربية نحو: "muezzin"، "litham" "taghout"، "Lalla"، "galabieh" وغيرها.

[1] زهرة ديك ، ياسمينة خضرا–هكذا تكلم.. هكذا كتب–، ص. 179.

أهم مصطلحات البحث:

– استلزام	– Implicature
– استلزام العرفي	– Implicature conventionnelle
– استلزام حواري	– Implicature conversationnelle
– إشاريات	– Deixis
– افتراضات مسبقة	– Présuppositions
– أفعال إدلائية/ إعلانات	– Déclarations
– أفعال تعبيرية	– Expressifs
– أفعال حكمية	– Verdictifs
– أفعال الكلام	– Actes de langage
– أفعال تمثيلية	– Représentatifs
– أفعال كلام مباشرة	– Actes de langage directs
– أفعال كلام غير مباشرة	– Actes de langage indirects
– أوامر	– Directifs
– بعد تداولي	– Dimension pragmatique
– تداولية	– Pragmatique
– التزامات	– Commissifs
– سياق	– Contexte
– سياق الفعل	– Contexte actionnel
– سياق الحال	– Contexte de situation
– سياق نصي	– Co-texte

– Contexte existentiel	– سياق وجودي
– Acte illocutoire	– فعل إنجازي
– Acte perlocutoire	– فعل تأثيري
– Acte locutoire	– فعل لفظي
– Maxime	– قاعدة أو مسلّمة
– Maxime de relation (pertinence)	– قاعدة العلاقة
– Maxime de quantité	– قاعدة الكم
– Maxime de manière (clarté)	– قاعدة الكيف
– Maxime de qualité (vérité)	– قاعدة النوع
– Intention	– قصد /مقصد
– Intention informative	– قصد إخباري
– Intention communicative	– قصد تواصلي
– Intention globale	– قصد كلّي
– Intention locale	– قصد موضعي
– Intentionnalité	– قصدية
– Force illocutoire	– قوّة إنجازية
– Compétence pragmatique	– كفاءة تداولية
– Compétence linguistique	– كفاءة لغوية
– Inférence	– كفاءة منطقية / استدلال
– Compétence encyclopédique	– كفاءة موسوعية
– Principe de coopération	– مبدأ التعاون
– Théorie de la pertinence	– نظرية الملاءمة

Résumé :

La présente étude s'inscrit dans le cadre analytique de la traduction littéraire et vise à mettre en évidence la question de l'intentionnalité en matière de traduction. Puisque chaque énoncé est porteur d'intention, et cette intention détermine des possibilités et des limites à la signification linguistique, le traducteur est censé de cerner l'intentionnalité de l'original pour choisir adéquatement la structure linguistique qui la serve, et par conséquent, il s'est avérer convenable de s'interroger sur les limites de la transmission des intentions qui se profilent derrière les énoncés lors du processus de la traduction. En vue d'esquisser quelques éléments de réponse, la présente recherche tache d'appliquer les principes de la linguistique pragmatique sur le discours littéraire, en tenant compte du contexte qui est un concept clé de la pragmatique.

Le premier chapitre est consacré aux aspects linguistiques de la traduction littéraire et tache de mettre en évidence le rapport imbriqué entre la théorie linguistique et la théorie de traduction et leur évolution au fil du temps afin d'arriver à appréhender la relation linguistique pragmatique / traduction.

La traduction est fortement liée à la linguistique mais on reprocher à la linguistique, notamment la linguistique structurale, le fait qu'elle s'intéresse au fonctionnement et à la structure des langues et élimine la parole de son champ d'études. C'est-à-dire le coté qui fait l'objet de ce que l'on appelle aujourd'hui linguistique pragmatique qui se repose sur l'idée d'une communication intentionnelle.

La linguistique pragmatique s'intéresse essentiellement à quatre domaines de recherche : les déictiques, les présuppositions; des contenus communiqués de

façon implicite, elles sont indispensables pour que les interlocuteurs puissent se comprendre. Les implicatures ; sont aussi des contenus implicites et contextuels. Enfin, les actes de langage : sont des actions exercées par la parole.

Le deuxième chapitre est consacré à l'intentionnalité. On tente dans un premier temps d'appréhender la relation : intentionnalité, sens et traduction. La linguistique pragmatique a prêté le concept d'intentionnalité de la philosophie du langage. Elle résulte de la force de la pensée de représenter une réalité. Elle est à l'origine de la structure de l'énoncé et de son sens.

Ensuite, on étudie les propriétés linguistiques et non linguistiques des énoncés, et quelques méthodes tirées de la linguistique pragmatique qui cernent et déterminent les intentions de l'énonciateur. On consacre aussi une partie pour parler du contexte qui est, au sens large, l'ensemble des connaissances et des conditions de la production langagière qu'elles soient linguistiques ou extra-linguistiques; le cadre spatio-temporel dans lequel a lieu un acte linguistique…etc.

Le dernier chapitre, quant à lui, s'étale sur l'étude de cas du roman intitulé « Les Agneaux du Seigneur » de l'écrivain algérien Yasmina Khadra, traduit par l'écrivain Mohamed Sari. On tache d'analyser des parties du romans en étudiant le contexte et en appliquant les principes de la linguistique pragmatique afin de révéler les intentions sous-jacentes et les comparer avec la version traduite pour pouvoir répondre au questionnement soulevé ci-dessus.

ملخّـــص:

يندرج هذا البحث في إطار تحليل الترجمة الأدبية، ويرمي إلى تسليط الضوء على إحدى أهم القضايا التداولية المتمثلة في البعد القصدي في الترجمة الأدبية. فكلّ ملفوظ ينطوي على قصد معين، يحدّد إمكانيات وحدود الصياغة اللغوية، وعلى المترجم تحرّي وضبط قصدية الأصل من أجل اختيار البنية الصحيحة التي تعبّر عنها. وبغرض الإجابة عن التساؤل المتعلّق بحدود نقل المقاصد التي تتضمنها العبارات اللغوية إلى اللغة الهدف تم من خلال هذه الدراسة تطبيق مبادئ اللسانيات التداولية على الخطاب الأدبي المترجَم التي تسهم في نقل المقاصد باعتبار السياق؛ الذي يعدّ إلى جانب المقصدية أهم رافد تداولي.

تمت الدراسة بدءا بتحديد المظاهر اللسانية للترجمة الأدبية، بهدف توضيح العلاقة الوثيقة بين النظرية اللسانية ونظرية الترجمة وتطورهما بشكل متداخل وصولا إلى الإبانة عن العلاقة القائمة بين اللسانيات التداولية والترجمة.

ثمّ يُخصّص الحديث عن القصدية، محور البحث، يتم في مقام أوّل لتوضيح العلاقة بين القصدية والمعنى والسياق ثم يتم الانتقال إلى تحديد دراسة الخصائص اللغوية وغير اللغوية المرتبطة بالسياق، وآليات التحليل التداولي التي تساعد في الكشف عن مقاصد المتلفّظ.

أما الجزء الثاني من البحث يشتمل على تطبيق بعض المبادئ التداولية التي تتغذى منها القصدية؛ على رواية حملان المولى لياسمينة خضرا التي قام بترجمتها محمد ساري حيث يتم تحليل مواضع في الرواية باعتبار السياق وآليات تحديد المقاصد الكامنة في ثنايا الرواية باللغة الفرنسية ومقارنتها بالترجمة العربية بهدف معرفة إلى أي مدى حافظ النص على قصديته؛ وبالتالي الإجابة على الإشكال المطروح أعلاه.

الكلمات المفتاحية: قصدية – لسانيات تداواية – ترجمة أدبية – استلزام حواري – افتراض مسبق – أفعال الكلام.

مكتبة البحث

***المصادر:**

1- ياسمينة خضرا ، خرفان المولى، تر/ محمد ساري، دار الفارابي، بيروت، ط. 1، 2011.

2- Yasmina Khadra, Les Agneaux du Seigneur, Editions SEDIA, Alger, 2007.

*** المراجع باللغة العربية**

1- ابن جني، الخصائص، تح. محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ط، د.ت.

2- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1990.

3- أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر ط.5، 2007.

4- أحمد المتوكل، الخطاب الموسط -مقاربة وظيفية موحدة لتحليل النصوص والترجمة وتعليم اللغات-، منشورات الاختلاف، الرباط، ط. 1، 2011.

5- أحمد محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، د.ط.، 2002.

6- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط.1، 2008.

7- أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي -نشأته وتطوره وقضاياه-، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط.، 2007.

8- بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السباب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، لندن، ط1، 2012.

9- الجاحظ، البيان والتبيين، تح/ عبد السلام محمد هارون، مؤسسة الخانجي، القاهرة ط.7، 1998.

10- الجاحظ، الحيوان، تح/ عبد السلام محمد هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة، ط.2، 1965.

11- الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح. محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة د.ط.، د.ت.

12- جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، مكتبة المثقف، المغرب، ط.1، 2015م.

13- الزمخشري، أساس البلاغة ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 1998.

14- زهرة ديك، ياسمينة خضرا –هكذا تكلم.. هكذا كتب–، منشورات دار الهدى، عين مليلة الجزائر، د.ط.، 2013.

15- طه عبد الرحمن، فقه الفلسفة –الفلسفة و الترجمة–، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط.1، 1995.

16- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية –بحث في تقنيات السرد–، عالم المعرفة، الكويت د.ط.، 1998.

17- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب –مقاربة لغوية تداولية–، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2004.

18- العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها–، دار الأمان، الرباط، ط.1، 2011.

19- محمد عناني، الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، الجيزة، ط.2، 2003.

20- محمد عناني، نظرية الترجمة الحديثة –مدخل إلى مبحث دراسات الترجمة–، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، الجيزة، ط.1، 2003.

21- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، د.ط.، 2002.

22- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب –دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي–، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ط. 5، 2005.

***المراجع المترجمة إلى العربية**

1- آن روبول و جاك موشلار، التداولية اليوم –عالم جديد في التواصل–، تر/ سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط. 1، 2003.

2- أنطوان برمان، الترجمة والحرف أو مقام البعد، تر/ عز الدين الخطابي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط.1، 2010.

3- بيتر نيومارك، الجامع في الترجمة، تر/ حسن غزالة، دار ومكتبة الهلال، بيروت ط.1، 2006.

4- ج.ب. براون. و ج. يول، تحليل الخطاب، تر/ محمد لطفي و منير التريكي، جامعة الملك سعود للنشر العلمي والمطابع، الرياض، د.ط.، 1997.

5- جورج مونان، اللسانيات والترجمة، تر/ حسين بن زروق، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ط. 2، 2011م.

6- جون لاينز، اللغة المعنى والسياق ، تر/ عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ط.1، 1987.

7- جون لانجشو أوستن، نظرية أفعال الكلام العامة –كيف ننجز الأفعال بالكلام– تر/ عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، د.ط.، 1991.

8- روبرت دي بوجراند و وولفغانغدريسلر، مدخل إلى علم لغة النص، تر/ إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد، دار الكاتب، لبنان، ط.1، 1992.

9- رينيه وليك ووارن أوستن، نظرية الأدب، تر/ عادل سلامة، دار المريخ، الرياض د.ط.، 1992.

10- شارلز كي أوغدن و إيفان أرمسترونغ ريتشاردز، معنى المعنى – دراسة لأثر اللغة في الفكر ولعلم الرمزية–، تر/ كيان أحمد حازم يحيى، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت د.ط.، د.ت.

11- فرانسواز أرمنكو، المقاربة التداولية، تر/ سعيد علوش، منشورات مركز الإنماء القومي بيروت، د.ط، د.ت.

12- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر/ صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط. 1، 2007.

13- كاترين كيبرات أوركيوني، المُضمر، تر/ ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ط.1 ، 2008.

14- لودفيك فتغنشتاين، تحقيقات فلسفية، تر/ عبد الرزاق بنّور، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط.1، 2007.

15- ميلان كونديرا، فن الرواية، تر/ بدر الدين عردوكي، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع دمشق، ط.1، 1999.

***المراجع باللغة الأجنبية**

1- Bahaa-eddin Abulhassan Hassan, Literary translation - Aspects of Pragmatic meaning-, Cambridge Scholars Publishing, U.K., 2011.

2- Dan Sperber and Deirdre Wilson, Relevance -Communication and cognition- Blackwell, Oxford, 2nd ed., 1995.
3- Danica Seleskovitch et Marianne Lederer, Interpréter pour traduire, Didier Edition, Paris, 1984.
4- Dominique Maingueneau, Pragmatique pour le discours littéraire, Armand Colin, Paris, 2005.
5- Eugene A. Nida, Toward a Science of Translating, Leiden: E. J. Brill Netherlands, 1964.
6- Ferdinand De Saussure, Cours de linguistique générale, Edition Talantakit Bejaia, 2002.
7- George Mounin, les Problèmes théoriques de la traduction, Édition Gallimard, paris, 1963.
8- George Yule and Gillian Brown, Discourse analysis, Cambridge University Press, London, 1983.
9- George Yule, Pragmatics, Oxford University Press, New York, 1996.
10- Hatim Basil & Geremy Munday, Translation - an advanced resource book- Routledge, London & New York, 2004.
11- Hatim Basil & Mason Ian, Discourse and the translator, Longman U.K., 1990.
12- Herman Parret, Semiotics and pragmatics – An evaluative compariso of conceptual frameworks-, John Benjamins Publishing, Amesterdam, 1983.
13- Inês Oseki-Dépré, Théories et pratiques de la traduction littéraire, Armand Colin, Paris, 1999.
14- Jean-Paul Vinay et Jean Darbelnet, Stylistique comparée de l'anglais et du français, Didier, Paris, 1958.

15- John Catford, A Linguistic Theory of Translation, Oxford University Press London, 1965.

16- John Milton, Le paradis perdu, traduit par :François-René De Chateaubriand Renault & Cie Libraires Éditeurs, Paris.

17- Katharina Reiss, Problématiques de la traduction, Economica, , Paris, 2009.

18- Kirsten Malmkjaer, Cooperation and literary translation, In: Leo HICKEY ed., The Pragmatics of Translation, Multilingual Matters, Clevedon, 1998.

19- Mathieu Guidère, Introduction à la traductologie - penser la traduction: hier aujourd'hui, demain-, De Boeck, Bruxelles, 2ième éd., 2010.

20- Paul H. Grice: Logic and Conversation, Speech Acts, In: Syntax and Semantics, Peter Cole and Jerry L. Morgan (eds), Academic Press, New York Vol. 3, 1975.

21- Roman Jakobson, On Linguistic Aspects of Translation, In Lawrence Venuti ed., The Translation Studies Reader, Routledge, London, 2000.

22- Sándor G. J. Hervey, Speech Acts and Illocutionary Function in Translation Methodology, In Leo Hickey (ed.), The pragmatics of translation, Multilingual Matters, Clevedon,1998.

23- Searle John, intentionality -An Essay in the Philosophy of Mind-, Cambridge university press, London, 1983.

24- Susan Bussnett, Transaltion studies, Routledge, London & New York 3rd edition, 2005.

25- Williams James, essays in pragmatism, Hafner publishing Co. New York, ed. 14, 1966.

***القواميـــس :**

1- Hadumod Bussmann, Routlege Dictionary of Language and Linguistics Translated and edited by: Gregory P.Trauth and Kerstin Kazzazi Taylor & Francis e-Library, U.K., 2006.
2- Jean Chevalier et Alain Gheerbrant, Dictionnaire des symboles, Rober laffont et Jupiter, Paris.
3- Oswald Ducrot, Tzvetan Todorov, Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage. Ed. du Seuil, Paris, 1972.

***المجلات:**

1- Maurice Pergnier, Théorie linguistique et théorie de la traduction Meta : journal des traducteurs, Montréal, septembre 1981, vol. 26, n°3.

***المواقع الإلكترونية:**

1- Pascal Asmili & Grégoire Winterstein, Les déclencheurs de présupposition additifs, Revue Langage, 2012, n° 186, https://www.cairn.info/revue-langages-2012-2-page-85.htm
2- Jacques Moeschler, Présupposition et implicature: où passe la frontière https://sites.google.com/site/moeschlerjacques/publications/articles-2010-2013

فهرس الموضوعات

ملخـص

يندرج هذا البحث في إطار تحليل الترجمة الأدبية، ويرمي إلى تسليط الضوءعلى إحدى أهم القضايا التداولية المتمثلة في البعد القصدي في الترجمة الأدبية؛ بغرض الإجابة عن التساؤل المتعلّق بحدود نقل المقاصد التي تتضمنها العبارات اللغوية إلى اللغة الهدفتم من خلال هذه الدراسة تطبيق مبادئ اللسانيات التداولية على الخطاب الأدبي المترجَم التي تسهم في نقل المقاصد باعتبار السياق؛ الذي يعدّ إلى جانب المقصدية أهم رافد تداولي. بدءا بتحديد المظاهر اللسانية للترجمة الأدبية، وصولا إلى الإبانةعن العلاقة القائمة بين اللسانيات التداولية والترجمة.ثمّ يُخصّص الحديث عن القصدية؛ فيتم في مقام أوّل لتوضيح العلاقة بين القصدية والمعنى والسياق ثم يتم الانتقال إلى تحديد دراسة الخصائص اللغوية وغير اللغوية المرتبطة بالسياق، وآليات التحليل التداولي التي تساعد في الكشف عن مقاصد المتلقّظ المضمرة.أما الجزء الثاني من البحث يشتمل على تطبيق بعض المبادئ التداولية إضافة إلى السياق (الاستلزام الحواري، الافتراض المسبق، أفعال الكلام) التي تتغذى منها القصدية على رواية خرفان المولى لياسمينة خضرا التي قام بترجمتها محمد ساري؛ حيث يتم تحليل مواضع في الرواية باعتبار السياق وآليات تحديد المقاصد الكامنة في ثنايا الرواية باللغة الفرنسية ومقارنتها بالترجمة العربية بهدف معرفة إلى أي مدى حافظ النص على قصديته من أجل إنجاح التواصل.

الكلمات المفتاحية:

قصدية؛ لسانيات تداولية؛ ترجمة أدبية؛ سياق؛ استلزام حواري؛ افتراض مسبق؛ أفعال الكلام؛ المضمر؛ البنية؛ التواصل.

نوقشت يوم 02 جويلية 2017